

البنية الصوتية ودلالاتها في سورتي (ص) و (ق)

اعداد

حنان محمد فلاح الصمراني

قسم اللغة العربية، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك، السعودية

القبول : ٢٧ / ٣ / ٢٠١٩

الاستلام : ١١ / ٢ / ٢٠١٩

المخلص :

سعت هذه الدراسة إلى دراسة الدلالة الصوتية في سورتي (ص) و(ق)، فركزت على التحليل الصوتي الدلالي لهذين الصوتين، من خلال تناسب صفتاهما الفيزيائية مع المضمون العام للسورتين، والتناسب بين صفات صوت اللفظة ومعناها، وبين طريقة نطق اللفظة وإبجاءاتها، وبيان أثر التنغيم، وتجلي أثر الفواصل القرآنية في البنية الإيقاعية في إتمام المعنى في السورتين. وخلصت الدراسة إلى أن صفات الصوتين (ص) و(ق) ومخرجهما لاءمت ما اشتمل عليه مضمون السورتين، وناسبت ألفاظ السورتين وطريقة نطقها صورتها الذهنية ودلالاتها السمعية، وأوضحت الدراسة أثر التنغيم في إظهار المعنى، وأن تنوع الفاصلة القرآنية يزيد المعنى جمالا واتساعا في السورتين.

الكلمات المفتاحية: الصوت والحرف - الصفات المتضادة - الصفات المفردة - التنغيم - الفاصلة القرآنية

ABSTRACT :

This study sought to study the voice indication of (Saad) and (Qaf) surah , besides it concentrated on the voice semantic analysis to these two surahs through their physical attributes which suit the general meaningfulness of the two surahs , and the compatibility between the voice verbal description and its meaning , and between the way of pronouncing the word and its suggestion and it showed the impact of intonation, besides the clear Qur'anic pauses / intervals in the rhythmic structure to complete the meaning of the two surahs . The study concluded that the characteristics of the two voices of (Saad) and (Qaf) surah suit the meaning of the two surahs, the two surahs words and the way

of their pronounce are suitable to their mental pictures and audio indication , the study showed the impact of intonation in demonstrating / explaining the meaning , in addition to the variety of Qur'anic pauses increases beauty and comprehensiveness of the meaning .

المقدمة :

القرآن المعجز الخالد، الذي مهما نهل الباحثون من مورده لن يظفروا إلا بالنزر اليسير من المقاصد الربانية التي أودعها الله عز وجل في كتابه، وإن محاولة الاقتراب من القرآن الكريم بقصد تفسيره، أو بيان بلاغته وأسرار إعجازه، ليس بالأمر السهل والميسور؛ لأن الباحث يخشى الوقوع في الخطأ أو الزلل أو الانحراف، أو البعد عن المقصد الرباني ومما يعلل الباحث نفسه فيه أنه إذا اجتهد وأخطأ فله أجر، وإن اجتهد وأصاب فله أجران، والقرآن الكريم الذي هو أرقى نص على الإطلاق، كان قد وظّف كلّ ما يمتلكه الصوت اللغوي من قدرات وبخاصة القدرة على التصوير؛ بهدف بلوغ أعماق مواطن التأثير في المتلقّي، فغدا الصوتُ فيه صورة متميزة للتناسق الفني، ومظهراً من مظاهر تصوير معانيه، وآية من آيات إعجازه الأسلوبي والبياني الرفيع؛ لذا كان وقع القرآن على الأذان لا يجري وفق نمطٍ واحد، بل يتنوع بتنوع الموضوع، فتارة يكون إيقاعه هادئاً كنسيم الجنان، وتارة يكون هادراً كريح صرصر عاتية، وتارة أخرى يكون لا هذا ولا ذاك، فهو يتعدد بتعدد المعاني والدلالات. وقد تنبه بعض علماء اللغة القدماء إلى العلاقة بين صوت اللفظة ومعناها، وعدّ علم اللغة الحديث التحليل الصوتي واحداً من مستويات الكشف عن جماليات النص ودلالاته، والكشف عن قدرة الكاتب ومهارته في انتقاء أصوات كلماته؛ لتكون منسجمة مع دلالة النص؛ ومن هنا جاءت الدراسة بعنوان سورتا (ص) و (ق) دراسة صوتية دلالية. وسبب اختياري لهاتين السورتين كونهما الوحيدتين اللتين سميتا بهما سورة كاملة في القرآن الكريم بصوت واحد وهما (ص) و(ق).

مشكلة الدراسة:

حاولت هذه الدراسة أن تتبين العلاقة بين أصوات ألفاظ السورتين ومعانيها وعلاقتها بمضمونها وبسياقها العام، وأثر ذلك على المتلقي، وذلك عن طريق الإجابة على التساؤلات التالية:

- ١- ما دلالة الربط بين الصوت في اسم السورة مع بناء الكلمة في السورة؟
- ٢- ما دلالة تسمية هاتين السورتين بصوت واحد وعلاقتها بمضمونها وبالسباق العام لهما؟

- ٣- ما دلالات تكرار هذين الصوتين (ص، ق) وبعض الأصوات الأخرى في ألفاظ السورتين وفي فواصلهما؟
- ٤- هل هناك علاقة بين أصوات ألفاظ السورتين ومضمونهما؟
- ٥- هل لصفات هذين الصوتين من همس وجهر وشدة ورخاوة (من انفجار واحتكاك) وغيرها ما يرتبط ببناء كلمات السورتين ومضمونهما؟
- ٦- ما الدلالات التي تعبر عنها صفات أصوات الألفاظ في السورتين؟
- ٧- ما تناسب مخرج صوت اللفظة مع معناها؟
- ٨- ما الأثر الذي يتركه هذان الصوتان في النص من جهة وفي المتلقي من جهة أخرى؟
- ٩- ما دور التنغيم وأثره في معنى السورتين؟
- ١٠- هل جاءت الفواصل القرآنية منسجمة مع مضمون السورتين؟

أهمية الدراسة:

أهمية الدراسة تظهر بما قدمته من إضاءات جديدة يثري بها علم الأصوات من جهة وتحليل النص الصوتي القرآني من جهة أخرى. فهي تمثل إضافة جديدة في علم الجمال الصوتي أو الأسلوبية الصوتية. وتأتي أهمية الدراسة من خلال الكشف عن بعض الدلالات التي تختلف باختلاف نظام الأصوات، إذ باتت تحولات البنى الصوتية وأشكالها وتواليها من أهم العوامل التي تشكل الدلالة.

منهج الدراسة:

تستفيد هذه الدراسة من المنهج الوصفي التحليلي في رصد الصفات الفسيولوجية لهذين الصوتين (ص، ق) ورصد مخرجيهما ورصد أثر التنغيم، وأثر ذلك كله في التحليل الصوتي للسورتين؛ لإظهار جمالية هذا التحليل، ومن ثم الوقوف على دلالة هذه الأصوات وأثرها في المعنى العام للسورتين.

أهداف الدراسة:

- ١- إبراز قيمة الجانب الصوتي في تشكيل النص القرآني.
- ٢- بيان مكانة التحليل الصوتي في دراسة النص القرآني.
- ٣- إبراز الأثر الدلالي والجمالي لأصوات الألفاظ في السورتين، وعلاقته بالسياق العام للسورتين.
- ٤- الوقوف على تناسب مخرج صوت اللفظة مع معناها.
- ٥- إظهار الأثر الذي تتركه أصوات الألفاظ في المتلقي.
- ٦- إبراز الأثر الدلالي والجمالي لتكرار الصوت الواحد والكلمة في النص القرآني.
- ٧- إبراز الأثر الدلالي والجمالي للتنغيم في السورتين.
- ٨- بيان الأثر الدلالي والجمالي للفواصل القرآنية في السورتين.

الدراسات السابقة:

١- أحمد سليمان الرقيب، سلسلة دراسة تحليلية وموضوعية لسور القرآن الكريم سورة (ص)، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٦، ماجستير المشرف أحمد شكري. تناولها الباحث من جانب تفسيري للآيات.

٢- عرفة عبد المقصود عامر، قراءة نحوية نصية في سورة (ص)، كلية دار العلوم (جامعة القاهرة). في هذا البحث يحاول الكاتب أن يؤكد تداخل العلاقات بين نحو الجملة ونحو النص من خلال دراسة تطبيقية على موضوع واحد من مواضع سورة (ص) من خلال تمهيد عن التعريف بنحو الجملة، والفرق بينه وبين نحو النص، ومعرفة أدوات التحليل فيه.

٣- نصر الله كاملي، سمية حسن عليان، دراسة أسلوبية في سورة (ص)، أفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، العدد الأول، ١٤٣٢. تناول الباحثان سورة (ص) من جميع المستويات وقد أشارا إلى الدلالة الصوتية، لكنهما تعرضا للبناء الصوتي للكلمات من خلال بيان نوعية المقاطع الصوتية المكونة لها، والموسيقى النابعة من تردد الأصوات خلال التكرار، بالإضافة إلى المعاني التي يؤديها الإيقاع من خلال تناسقه مع جو الآيات. بينما تناولت في دراستي صفات صوت اللفظة وطريقة نطقها وعلاقة ذلك كله بمعنى اللفظة وبالمعنى العام للسورة وأثرهما على المتلقي، إلى جانب دور التنغيم والفواصل القرآنية في معنى السورة وأثرها على المتلقي.

٤- يمنية مصطفى، دراسة صوتية للنص القرآني سورة (ق) أنموذجاً، المركز الجامعي، البويرة. تناول هذا البحث سورة (ق) من خلال دراسة قوة الأصوات، وقد حددت الدارسة الحروف التي تناولتها من جانب تحليلي وصفي (ق، د، ب). وتناولت في دراستي دلالات هذه الأصوات ودلالات طريقة نطقها، وعلاقة ذلك كله بمعنى اللفظة وبالمعنى العام للسورة وأثرهما على المتلقي، إلى جانب دور التنغيم والفواصل القرآنية في معنى السورة وأثرها على المتلقي.

٥- ضحى العنزي، سورة (ق) دراسة في البنية والدلالة، مشروع بحث لنيل درجة الماجستير: قامت الباحثة بدراسة سورة (ق) من ناحية الصيغة والوزن والبنية، بينما في دراستي قمت بدراستها صوتياً من خلال الربط بين أصوات السورة ومضمونها والسياق العام لها.

حدود الدراسة:

الأمثلة التطبيقية التي تظهر فيها الدلالة الصوتية لسورتي (ص) و (ق).

مصطلح الدراسة:

١- مفهوم الدراسة الصوتية الدلالية: الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص: هي ما تؤديه الأصوات المكونة للكلمة من دور في إظهار المعنى، وذلك في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، سواء أكانت هذه الأصوات صوامت، أو حركات، ويعد علماء اللغة المحدثون التحليل الصوتي واحدا من مستويات الكشف عن جماليات النص ودلالته^١.

ماهية الصوت:

الصوت لغة:

الصوت كما جاء في لسان العرب والتاج: لغة: الجرس، والجمع أصوات، قيل: الصوت صوت الإنسان وغيره، والصائت: الصائح، ورجل صيَّت: أي حسن شديد الصوت^٢. وقال ابن جني: "فإن الصوت مصدر صات الشيء يصوت صوتا فهو صائت، وصوَّتْ تصويْتا فهو مُصَوِّتٌ، وهو عام غير مختص، يقال سمعت صوت الرجل، وصوت الحمار"^٣ وعَرَّفَ الجاحظ الصوت الإنساني فقال: "هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف"^٤ ورأى ابن سينا: "الصوت تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان"^٥ والصوت في المعجم الوسيط: "الأثر السمعي الذي تحدثه تموجات ناشئة من اهتزاز جسم ما"^٦.

^١ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص١٧-١٨.

^٢ لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، لبنان، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج٢، ص٥٧، وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ج٤، ص٥٩٧.

^٣ سر صناعة الاعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٣.

^٤ البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج١، ص٧٩.

^٥ رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، الحسين بن عبد الله، تحقيق محمد حسن الطيان، يحيى مير علم، مراجعة د.شاكر الفحام، د. أحمد الراتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د٢، ص٥٦.

^٦ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٥٢٧.

الفرق بين الصوت والحرف:

استعمل علماء العرب القدماء مصطلح الحرف للدلالة على الصوت، وعلى الرمز الكتابي،^٧ يقول ابن يعيش: "الحرف إنما هو صوت مقروع في مخرج معلوم."^٨ وكان الخليل بن أحمد - وإن لم يستعمل مصطلح الصوت - يفرق بين صوت الحرف واسمه، وهذا يتضح من سؤاله لأصحابه حين قال لهم: "كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في (لك)، والكاف التي في (مالك)، والباء التي في (ضرب)؟ فقيل له: نقول: باء كاف. فقال: إنما جنتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف."^٩ وواضح هنا أن الخليل كان يريد الصوت، ولم يستعمل مصطلح الصوت، والعبارة بالمعاني لا بالمباني، يؤكد هذا ما قاله محققا كتاب العين في المقدمة، من أن " كلمة (حرف) تعني في مصطلح الخليل ما نعيه باستعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر ولنسمعه يقول: فإذا سئلت عن كلمة، وأردت أن تعرف موضعها، فانظر إلى حروف الكلمة فمهما وجدت منها واحدا في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب. وإن قوله (حروف الكلمة) يعني أصواتها، وهو يشير إلى أنه ضمن مقدمته التي دعاها (الكتاب المقدم) هذه المواد الصوتية اللغوية"^{١٠}

وبهذا نقول: إن الخليل استعمل مصطلح الحرف، وأراد به الصوت، ثم جاء تلميذه سيبويه من بعده، وتنبه أيضا إلى أهمية الصوت اللغوي متأثرا بأستاذه الخليل بن أحمد، وعرف أن اللغة: " لا يمكن أن يفهم نحوها، وصرفها فهما صحيحا إلا بعد دراسة أصواتها؛"^{١١} لأن ظواهر النحو والصرف تعتمد على دراسة الأصوات. ولكن سيبويه هو الآخر مثل أستاذه استعمل مصطلح الحرف، وأراد به الصوت.^{١٢} ويبدو أن استعمال مصطلح الصوت استقر عند ابن جني الذي قال: " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والقم والشفيتين مقاطع تثنيه عن

^٧ العين ، الفراهيدي الخليل بن أحمد، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٥٣، وينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٨، والكتاب، سيبويه، تحقيق : عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢م، ج ٤، ص ٤٣٦.

^٨ شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، ج ٥، ص ٥١٦.

^٩ العين، الخليل بن أحمد، ج ١، ص ١١

^{١٠} اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٦٨.

^{١١} الكتاب، سيبويه، ج ٤، ص ٤٣٤-٤٣٥.

^{١٢} المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩١٦م،

امتداده، واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، ويختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها.^{١٣} وهو يعني بالصوت: صوت ذذبذة الأوتار الصوتية.^{١٤}

مفهوم علم الأصوات:

يعد ابن جني أول من سمى البحث في الأصوات العربية علمًا، حيث قال: "وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الاشباع...".^{١٥} فيتحدث عن علم الأصوات والحروف، ومشاركته الموسيقي لما فيه من صنعة الأصوات والنغم،^{١٦} وهو يسوي بين الصنعة والعلم.^{١٧}

وعندما يطلق مصطلح علم الأصوات، يطلقه بلفظ واضح وصريح، وذلك قبل الدراسات الغربية بقرون، وهو يقصد دراسة الأصوات، والبحث في مشكلاتها المختلفة، فهو لا يتعد عن مصطلح الدراسات الصوتية الحديث (phonetics).

ويدرك ابن جني أن علم الأصوات علم قائم بذاته، وهذه إشارة واضحة، على أن الدراسة الصوتية في عهده في القرن الرابع الهجري كانت تلقى العناية اللائقة، فأخذ ينظر إليها على أنها دراسة مستقلة لا تقل شأنًا عن النحو والصرف والبلاغة.

ويرى كثير من الدارسين أن ابن جني قد سبق الأوروبيين في استعماله علم الأصوات، ذلك المصطلح الدقيق الذي رسم به صورة واضحة لهذا العلم.^{١٨}

وكتابه "سر صناعة الإعراب" هو أول كتاب مستقل يؤلف في هذا العلم، فلم تعرف العرب كتابا مخصوصا لعلم الأصوات قبله، وهو يجمع الدراسات الصوتية السابقة التي بدأت عند الخليل وتلميذه سيبويه، ثم تطورت إلى أن وصلت عند ابن جني في هذا الكتاب. والمتمعن في كتاب سر صناعة الإعراب يجد موضوعاته دقيقة، يتدرج صاحبها من وصف جهاز النطق، وعدد حروف المعجم، ووصف مخارجها، وأجراس الحروف الطبيعية، وتقسيم صفاتها، وما يعرض للصوت عند بناء الكلمة، ثم بيان الشاذ والمقيس، إلى أن يصل إلى الفصاحة في اللفظ المفرد، وتأليفه من أصوات متباعدة المخرج.

ويهدف ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب إلى الحديث عن الحروف أي: الأصوات منفردة، وهذا لا يدل على أنه لم يدرس الأصوات في حالة اجتماعها،

^{١٣} سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ص ١٩.

^{١٤} اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٨٣-٨٤.

^{١٥} سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ص ٥٦.

^{١٦} ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ص ٢٢.

^{١٧} ينظر: أئمة النحاة في التاريخ، محمد محمود غالي، دار الشروق، جدة، ط ١، ١٣٩٦، ص ٤٧.

^{١٨} ينظر: جهود العرب في الدراسات الصوتية، كمال بشر، مجلة الثقافة العربية الليبية، ٤٤، سنة ١٩٧٥م، ص ٥١.

ويظهر ذلك جليا في كتابه الخصائص. وقد عرّف المحدثون علم الأصوات بأنه: " علم يبحث في مجال الأصوات اللغوية من حيث مخارجها وكيفية إخراجها وخواصها الأكوستية كموجات صوتية، وكيف يتم سماعها وإدراكها، وهو علم تجريبي في معظم فروعه".^{١٩}

وهذا العلم يبحث في جوانب صوتية مهمة^{٢٠} وهي:

١- علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي: ويقوم بتحديد مخارج الأصوات اللغوية وطرق إخراجها، ودراسة الجهاز الصوتي والكشف عن طبيعة كل عضو فيه ودوره في عملية إصدار الكلام .

٢- علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي: ويتمثل هذا الجانب في الاهتمام بالموجات الصوتية المنتشرة في الهواء؛ نتيجة لإخراج الأصوات وتأثيرها في جهاز الاستقبال عند الانسان.

٣- علم الأصوات السمعي: ويهتم هذا الفرع بالفترة التي تقع منذ وصول الموجات الصوتية إلى الأذن حتى إدراكها في الدماغ ، حيث أنها تحدث إثارات واستجابات معينة في المخ ، ولا تكون الدراسة الصوتية كاملة قبل التعرف على تلك القوالب الإثارية ، والكشف عن العلاقة بينها وبين القوالب الفسيولوجية والفيزيائية.

مفهوم الدلالة الصوتية:

لكي يتضح المراد بمصطلح "الدلالة الصوتية"، ينبغي التعريف بمصطلح "الدلالة" على حدة؛ فعلى أساس فهم هذا المصطلح يمكن تعريفه باعتبار نسبه إلى كلمة الصوت، وبيان ذلك على النحو الآتي:

أ) تعريف الدلالة لغة:

أصل الكلمة "دلّ" الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء^{٢١}. والدليل من الدلالة والدلالة بالكسر والفنح، وهما مصدران^{٢٢}. والفرق بينهما كما قال ابن دُرَيْد: الدَّالَّةُ بالفنح: حَرْفَةُ الدَّلَالِ. ودليلٌ بَيْنُ الدَّلَالَةِ،

^{١٩} الصوتيات العربية، منصور محمد الغامدي، مكتبة التوبة، الرياض، د.ط، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٨، وينظر: علم الأصوات، كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠م، ص٤٣.

^{٢٠} علم الأصوات، كمال بشر، ص٤٤، وينظر: علم الصوتيات، عبد العزيز علام ، عبد الله ربيع محمود، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٣٠هـ، ص٢٠.

٢١ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٢، ص٢٥٩.

٢٢ تهذيب اللغة، الأزهرى، أبي منصور الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ج١٤، ص٤٨.

بالكسر^{٢٣}. والدلالة على الشيء ما يُمكن كلَّ ناظرٍ فيها أن يستدلَّ بها عليه^{٢٤}. وفي لسان العرب من دل، أي: عرف، ومنه الدلالة وهو بمعنى الدليل أي المعرف والدل على الشيء^{٢٥}. وفي المعجم الوسيط: "الدلالة الإرشاد وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه"^{٢٦}.

(ب) الدلالة اصطلاحاً:

يقول الجرجاني في تعريف الدلالة: "الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص..."^{٢٧}. ويعرف الجرجاني الدلالة اللفظية الوضعية فيقول: "هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه، للعلم بوضعه، وهي المنقسمة إلى المطابقة، والتضمن، والالتزام؛ لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام كالإنسان"^{٢٨} وجاء في الحدود الأنيقية: "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"^{٢٩}.

والدلالة الصوتية كما يقول إبراهيم أنيس: "هي التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات"^{٣٠}. فإذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى - أدَّى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى. إذن الدلالة هي البحث في معاني الألفاظ، والدلالة الصوتية هي ما تبحث في دلالة الأصوات على المعاني، وفي إحيائها وما تهدف إليه. وهنا لا يغفل دور القرآن الكريم فهو المحرك الأول لتلك الدلالات الصوتية، فاستقراء ملامح الظاهرة الصوتية في التراث العربي الإسلامي يوصلنا إلى أن القرآن الكريم هو

٢٣ المحكم والمحيط الأعظم. ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٩، ص٢٧١، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٢، ص١٤١٤.

٢٤ الفروق اللغوية، العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، د.ب، ط٢٠١٤م، ص٧٠.

٢٥ لسان العرب، ابن منظور، ج١١، ص٢٤٩.

٢٦ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص٢٩٤.

٢٧ كتاب التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٠٤.

٢٨ المرجع السابق، ص١٠٤.

٢٩ الحدود الأنيقية، زكريا محمد الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٧٩.

٤ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٨٤م، ص٤٦.

المنطلق الأساس فيها، وأنه قد نبه بتأكيد بالغ على مهمة الصوت اللغوي في إثارة الإحساس الوجداني عند العرب، وإيقاظ الضمائر الإنسانية للتوجه نحوه لدى استعماله الحروف الهجائية المقطعة في جمهرة من فواتح السور القرآنية، وفي أسرار فواصل الآيات، وفي قيم الأداء القرآني، وفي الدلالة الصوتية للألفاظ في القرآن الكريم.

دراسة صوتي (الصاد) و (القاف) من حيث المخرج والصفة

دراسة صوتي (الصاد) و (القاف) من حيث المخرج: للمخرج في أصوات الحروف العربية أهمية في تحديد ولادة الصوت اللغوي، وخصائصها الفيزيائية أهمية في تحديد ملامح ذلك الصوت وتشخيصه، يقول برجشتراسر: "لا يكفي لمعرفة الحرف وتمييزه تحديد المخرج وحده، دون علامة ثانية هي صفة الحرف."^{٣١}

وقد عرّف ابن يعيش المخرج بأنه: "المقطع الذي ينتهي الصوت عنده."^{٣٢}

مخرج صوتي (الصاد) و (القاف) عند علماء العرب :

١- مخرج صوت (الصاد) من المخارج التي تنتج من طرف اللسان، ومخرجها " ما بين الثنايا وطرف اللسان"^{٣٣}، وقد سار ابن يعيش على منهج سيبويه في وصف هذا المخرج حيث لم يحدد نوع الثنايا التي تشترك مع طرف اللسان في تكوين هذه الأصوات^{٣٤}، وقد وصفها ابن يعيش بأنها أسلية لأن مبدؤها من أسلة اللسان وهو مستدق طرف اللسان.^{٣٥}

٢- مخرج صوت (القاف) في حيز واحد مع صوت الكاف ووصفها ابن يعيش بأنها لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة^{٣٦}، وهذا ينطبق على وصف الخليل بأنها لهوية^{٣٧}، وتابع ابن يعيش سيبويه في تحديد مخرج كل منهما.^{٣٨}

و وصف المحدثون (الصاد) بأنها لثوية^{٣٩}، أو أسنانية لثوية^{٤٠}. ووصفوا (القاف) بأنها لهوية^{٤١}. وهكذا صوت (القاف) قوي النبر لقوة المخرج، وصوت (الصاد) ضعيف الاعتماد على المخرج.

^{٣١} التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، تعريب رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٣.

^{٣٢} شرح المفصل، ابن يعيش، ج١٠، ص١٢٣.

^{٣٣} المصدر السابق، ج١٠، ص١٢٥.

^{٣٤} الكتاب، سيبويه، ج٤، ص٤٣٣.

^{٣٥} شرح المفصل، ابن يعيش، ج١٠، ص١٢٥.

^{٣٦} شرح المفصل، ابن يعيش، ج١٠، ص١٢٤.

^{٣٧} العين، الخليل بن أحمد، ج١، ص٥٨.

^{٣٨} الكتاب، سيبويه، ج٤، ص٤٣٣.

^{٣٩} علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، د٢، ص١٧٥.

دراسة صوتي (الصاد) و(القاف) من حيث الصفة.

قسم علماء العربية صفات الأصوات إلى صفات متقابلة وصفات مفردة ، وسنقف هنا على تلك الصفات المتعلقة بصوتي (الصاد) ، و(القاف):
أولاً: الصفات المتقابلة، أو المتضادة:

١- الجهر والهمس:

"الجهر لغة: الظهور والإعلان. واصطلاحاً: ظهور الحرف وإعلانه لقوته، وانحباس النفس معه عند النطق به؛ لقوة الاعتماد عليه في مخرجه، وسميت هذه الحروف جهرية للجهر بها، وقوتها، وانحباس النفس معها عند النطق بها؛ لقوة الاعتماد عليها في مخرجها."^{٤٢}

والهمس لغة: "الخفاء أو الصوت الخفي، واصطلاحاً: جريان النفس عند النطق بحرف من حروف الهمس لضعف الاعتماد عليه في المخرج."^{٤٣}
وقد عرّف المحدثون الأصوات المجهورة بأنها التي يصاحب نطقها تذبذب الوترين الصوتيين، إذ يتقاربان تقارباً جزئياً لا كلياً بحيث يسمح للهواء المندفع من خلالهما أن يفتحهما أو يغلقهما بسرعة وانتظام فائقين، ومن ثم ينتج ما نعرفه بذبذبة الأوتار الصوتية، وهيذبذبة تحدث نغمة صوتية تختلف في الدرجة والشدة، وهذه النغمة اصطلاحاً عليها علماء الأصوات بالجهر، وتسمى الأصوات التي تصحب هذه النغمة بالأصوات المجهورة.^{٤٤}

أما الأصوات المهموسة فهي التي لا يصاحب نطقها اهتزاز الوترين الصوتيين؛ وذلك لأنه قد ينفرج الوتران الصوتيان انفراجاً ملحوظاً، بحيث يسمح للنفس أن يمر خلالهما من دون أن يقابله اعتراض يذكر، وفي هذه الحالة يحدث ما يسمى بالهمس في الاصطلاح الصوتي، وتسمى الأصوات التي تنطق بهذه الطريقة الأصوات المهموسة.^{٤٥}

^{٤٠} دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٤٠٥هـ، ص٣١٦.

^{٤١} علم اللغة العام (الأصوات)، كمال بشر، ص١٨٤.

^{٤٢} العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسّة المصري (المتوفى: بعد ١٣٦٧هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ص٥٩.

^{٤٣} المرجع السابق، ص٥٩.

^{٤٤} ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧١م ص٢١، وينظر علم اللغة العام (الأصوات)، كمال بشر، ص٦٨.

^{٤٥} ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص٢١، وينظر علم اللغة العام (الأصوات)، كمال بشر، ص٦٨.

وهكذا الفرق بين الهمس والجهر قائم على جريان النفس في الأول عند النطق بالحرف، وانحباسه في الثاني، فما كان منها من حروف (الفاء، الحاء، التاء، الهاء، الشين، الخاء، الصاد، السين، الكاف، التاء، الهمزة، الطاء، القاف)، فهي مهموسة وما لم يكن منها فهو جهري.

٢- الانفجار (الشدة) و الاحتكاك (الرخاوة):

عرف العلماء العرب الأصوات الشديدة، بأنها الأصوات التي تمنع الصوت أن يجري فيها^{٤٦}. أما الأصوات الرخوة: فهي الأصوات التي يجري فيها الصوت.^{٤٧} فإذا انحبس النفس في مخرج الحرف حبسا تاما، ثم أطلق بعد ضغطه كان الصوت شديدا، وإذا حصل تضيق لمجرى النفس في مخرج الحرف دون أن يحتبس، كان الصوت رخوا.^{٤٨} فالقاف، والطاء، والذال، والباء، تنطق في الوقف على دفعتين: تكون في الأولى احتباسية، وفي الأخرى انفجارية مقطوعة بإقفال حنجري.^{٤٩} وأطلق المحدثون على الأصوات الشديدة اسم الانفجارية، وعلى الأصوات الرخوة اسم الاحتكاكية، يقول السعران: "تتكون الأصوات الانفجارية بأن يحبس مجرى الهواء من الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، مما يؤدي إلى ضغط الهواء، وإطلاقه فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا."^{٥٠} والأصوات الاحتكاكية تتكون بتسرب الهواء، واحتكاكه بمخرجه، يقول السعران: "تتكون الأصوات الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين، في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا."^{٥١} والأصوات الانفجارية ثمانية: (الهمزة، القاف، الكاف، التاء، الطاء، الذال، الصاد، الباء). وقد تبين مما سبق أن صوت الصاد رخو احتكاكي يتسرب منه الهواء. وصوت القاف صوت شديد انفجاري، يحدث فيه انحباس، ثم خروج للهواء انفجار.

^{٤٦} الكتاب، سيبويه، ج ٢، ص ٤٠٢، وينظر: المقتضب، أبو العباس المبرد، تحقيق عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، دب، ج ١، ص ١٩٤-١٩٥، وسر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ص ٦٨.

^{٤٧} الكتاب، سيبويه، ج ٢، ص ٤٠٢، وينظر: المقتضب، المبرد، ج ١، ص ١٩٤-١٩٥، وسر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ص ٦٨.

^{٤٨} الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، بغداد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢١٩.

^{٤٩} الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، عبد البديع النيرباني، دار الغوثاني، دمشق، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ٧٤.

^{٥٠} علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، ص ١٥٣.

^{٥١} المرجع السابق، ص ١٧٢.

٣- الاستعلاء (التفخيم) والانخفاض (الترقيق):

ذهب علماء العربية في وصف الأصوات المستعلية بأن يتصعد اللسان إلى الحنك الأعلى، وأصواته سبعة هي: (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء)^{٥٢}.

أما الأصوات المنخفضة فهي ماعدا الأصوات المذكورة، وتكون بنزول اللسان إلى قاع الفم.^{٥٣}

وهذا لا يبعد عن نظرة المحدثين لهذين المفهومين، فالاستعلاء هو تصعد اللسان إلى الحنك الأعلى من دون أن يطبق عليه، والانخفاض، هو نزول اللسان إلى قاع الفم.^{٥٤} والاستعلاء توصف الأصوات التي تتسم به بالأصوات المفخمة، والمرقق ضد المفخم، وهي كل الحروف ماعدا الحروف المفخمة.

والتفخيم لغة: التعظيم والفخامة، من فُخِمَ ككُرِّمَ. واصطلاحاً: تعظيم صوت الحرف بجعله في المخرج سمينا، وفي الصفة قويا. والترقيق لغة: مشتق من الرقة وهي النخافة، واصطلاحاً: تنحيف صوت الحرف بجعله في المخرج نحيفا، وفي الصفة ضعيفا. والتفخيم: تعظيم الصوت في النطق حتى يمتلئ الفم بصداه.^{٥٥} فلو قارنا بين نطق كل من الصوتين (ص ، س) في كلمتي أصعب وأسلم لتبين لنا كيف أن الصاد تملأ الفم بصداها بخلاف السين.

وهكذا صوتا القاف والصاد مشتركان في التفخيم، فكلاهما مفخم، ولكن يختلفان في الدرجات، "إذا نظرنا إلى مراتب حروف الاستعلاء، سبع بعدها، وأن لكل منها في ذاته خمس مراتب، فمراتب التفخيم تفصيلا خمس وثلاثون مرتبة، أعلاها الطاء المفتوحة التي بعدها ألف، وأدناها الخاء المكسورة، وأن نقول: إن لكل حرف مفخم مرتبة خاصة بالنسبة له في ذاته، ومرتبته عامة بالنسبة له ولغيره من حروف الاستعلاء."^{٥٦} فالأصوات المفخمة تفخيما تاما هي (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء)، والأصوات المفخمة تفخيما جزئيا هي (الخاء، الغين، القاف).

٤- الاطباق والانفتاح:

الأصوات المفخمة عند القدماء هي بأن يوضع اللسان في مواضع النطق لهذه الأصوات، ثم ينطبق اللسان من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان، فإذا وضع

^{٥٢} الكتاب، سيبويه، ج ٢، ص ٢٦٤، وينظر المقتضب، المبرد، ج ١، ص ٢٢٥.

^{٥٣} المقتضب، المبرد، ج ١، ص ٢٢٥.

^{٥٤} دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، تعريب صالح الفرماي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٦٦م، ص ٢٣٧.

^{٥٥} العميد في علم التجويد، محمود علي بسة المصري، ص ١٢٣.

^{٥٦} المرجع السابق، ص ١٢٧.

اللسان فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الصوت أو الحرف، وعدد الأصوات التي يصدق عليها ذلك الوصف هو أربعة أصوات : الصاد، الضاد، الطاء، الظاء.^{٥٧}

أما الأصوات المنفتحة فهي كل ماسوى المفخمة، لأن الناطق بها لا يطبق لسانه عند النطق بها، ويرفعه إلى الحنك الأعلى، وهي كل الأصوات الباقية.^{٥٨}

ثانياً: الصفات المفردة.

الصفير:

هذه الصفة ناتجة عن رخاوة (السين والصاد والزاي) واحتكاكها، بحيث يتسرب منها الهواء فيحدث عند تسربه صوت الصفير، والذي يكون ظاهراً جلياً في صوت الصاد دون غيره من أصوات الصفير الزاي والسين. كان المبرد أكثر دقة من سابقه في بيان صفة الصفير، إذ قال: " ومن طرف اللسان وملتقى حروف التنايا حروف الصفير، وهي حروف تنسل انسلالا، وهي السين والصاد والزاي." ^{٥٩} وكانت لعلماء التجويد عناية خاصة بهذه الصفة، وحاولوا أن يوضحوا المقصود بكلمة الصفير، يقول ابن الطحان: "والصفير حدة الصوت، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب." ^{٦٠} وربطوا بين تسمية هذه الأصوات الثلاثة بحروف الصفير، وبين ظاهرة الصفير في أصوات الطبيعة، يقول الداني: " سميت بذلك لأنك تسمع فيها شبيهاً بالصفير عند إخراجها من مواضعها." ^{٦١} والصفير صفة ذاتية في هذه الأصوات لاتنفك عنها، وهي تخرج من مخرج واحد، وإنما فرق بينهما صفات مميزة هي الهمس في السين، والجهر في الزاي، والإطباق في الصاد، يقول أحمد مختار عمر: " وسميت صفيرية؛ لقوة الاحتكاك معها." ^{٦٢}

القلقلة.

أصوات القلقلنة عند علماء العربية هي (القاف، والجيم، والطاء، والذال، والباء)، وسميت "بذلك؛ لأنها يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف، مع شدة الصوت

^{٥٧} الكتاب، سيبويه، ج ٢، ص ٤٠٦، المقتضب، المبرد، ج ١، ص ١٩٤.

^{٥٨} الكتاب سيبويه، ج ٢ و ص ٤٠٦، المقتضب، المبرد، ج ١ و ص ١٩٤.

^{٥٩} المقتضب، المبرد، ج ١، ص ١٩٣.

^{٦٠} مرشد القارئ إلى تحقيق معالم القارئ، ابن الطحان، أبو الاصبغ عبد العزيز بن علي الإشبيلي، تحقيق حاتم الضامن، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٤٧.

^{٦١} التحديد في الإتقان والتجويد، الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد، المحقق غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط ١، ١٤٢٧، ص ١٠٧.

^{٦٢} دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص ٩٨.

المتصدع من الصدر، وهذا الضغط التام، يمنع خروج ذلك الصوت، فإذا أردت بيانها للمخاطب احتجت إلى قلقله اللسان وتحريكه عن موضعه، حتى يخرج صوتها فيسمع.^{٦٣} وسبب قلقله هذه الأصوات في العربية "حرصهم على إظهار كل ما في هذه الأصوات من الجهر، بحيث يمنعها من الهمس."^{٦٤} وقد وصف سيبويه أصوات القلقله بالأصوات المشربة، فقال: "واعلم أن من الحروف حروفا مشربة، ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت، خرج معها من الفم صوت، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقله."^{٦٥} ويقر المحدثون هذه الصفة في الأصوات.^{٦٦}

تأثر صوتي (الصاد) و(القاف) بالحركات عند النطق بها.

هناك أصوات حروف تتأثر بالحركة أكثر من غيرها، والحركة عبارة عن "مرور الهواء من الفم حرا طليقا في أثناء النطق بها، دون عائق أو مانع يقطعه أو ينحويه نحو منافذ أخرى، كجانبي الفم أو الأنف دون تضيق لمجره، فيحدث احتكاكا مسموعا... والحركات غالبا ما تكون مجهورة في كل اللغات، وربما يقع بعضها مهموسا في بعض السياقات في بعض اللغات."^{٦٧} والقاف تتأثر بالحركة إذ يقل الانفجار فيها مع وجود الحركة، ويكثر عند انعدامها وذلك في ظاهرة القلقله، ويذكر في بغية المستفيد في علم التجويد: حروف القلقله، وهي خمسة، يجمعها أحرف: "قطب جد". وحقبة القلقله: إظهار نبرة لطيفة حالة النطق بالحرف المقلقل، وهذه الأحرف إما أن تكون متحركة أو ساكنة، فإن كانت متحركة فليست حروف قلقله، وإن كانت ساكنة فهي حروف قلقله. وحاصله أنه متى سكن حرف من هذه الحروف الخمسة وجب أن يُقلقل، ويُقلقل في الوقف أكثر.^{٦٨}

وهكذا تتأثر القاف بالحركة فيكثر تفخيمها إذا كانت متحركة ويقل إذا سكنت، ويتأثر صوت الصاد بالحركة فيكون صوت الصفير فيه أبيض وأوضح حال سكون الصاد، ويقل وضوحه إذا حرك، كما في لفظة (اصبر) فهي أوضح منها في (صبر).

^{٦٣} شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترآبادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٨هـ، ج ٣، ص ٢٦٣.

^{٦٤} في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ، بغداد، د.ط، ١٩٨٣م، ص ٥٩.

^{٦٥} الكتاب، سيبويه، ج ٢، ص ١٧٤.

^{٦٦} علم الأصوات، كمال بشر، ص ١١٦-١١٧.

^{٦٧} علم الأصوات، كمال بشر، ص ٢١٧.

^{٦٨} بغية المستفيد في علم التجويد، ابن بلبان الحنبلي، دار البشائر الإسلامية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٥٠.

التحليل الصوتي الدلالي لسورة (ص)

المقصود بالتحليل الصوتي الدلالي هو تلك التجلية والتوضيح اللذان يضيفها المحلل الصوتي عن دلالة الصوت من خلال صفات الحرف ومخرجه وكيفية نطق الكلمة، والربط بين هذه الصفات ومدلول اللفظة ومدلولها في الكلام، ووقعها السمعي ومناسبتها في الموضوع وتجلياته، وقدرة الأصوات على مسايرة المعنى والمدلول الذي يهدف إليه صاحب النص، وهذه من أدق وألطف موضوعات الصوتيات؛ وهو حديث هذا الفصل: ولا بد له من تمهيد عن سورة ص ومضمونها.

حول سورة (ص)

اسمها:

تسمى سورة ص، وتسمى أيضا سورة داود.^(٦٩)

عدد آياتها وحروفها

قال العليمي^{٧٠}: "سورة ص مكية بإجماع من المفسرين، وأبها: ثمان وثمانون آية، وحروفها: تسعة وستون وثلاثة آلاف حرفًا، وكلمها: اثنتان وثلاثون وسبعمائة كلمة، وترتيبها في المصحف الثامنة والثلاثون.

مضمون السورة:

أما عن مضمون السورة فقد اتفق العلماء على أنها في مجموعها تحديات وخصومات على اختلاف أنواعها مع الكفار، ثم بين الكفار بعضهم بعضا، وخصام بين الملام الأعلیٰ في العلم،... وتعالج سورة (ص) قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى محمد - ﷺ - وقضية الحساب في الآخرة، وهذه القضايا تعرض في مطلع السورة، وهي تمثل الدهشة والاستغراب والمفاجأة التي تلقى بها كبار المشركين في مكة دعوة النبي - ﷺ - لهم إلى توحيد الله، ثم جاءت السورة بقصة داود وسليمان؛ وما أصدق الله عليهما من النبوة والملك، ومن تسخير الجبال والطير، وتسخير الجن والريح،... وخزائن الأرض والسلطان والمتاع، وكذلك جاءت قصة أيوب تصور ابتلاء الله للمخلصين من عباده بالضراء، وهذه القصص تصور معظم السورة^{٧١}، وليس هذا فحسب، وإنما أيضا

^{٦٩} مختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج ٤، ص ١٠٤٧.

^{٧٠} عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين: مؤرخ باحث، من أهل القدس. نسبته إلى علي بن عليم المقدسي. كان قاضي قضاة القدس، ومولده ووفاته فيها. له الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، وفتح الرحمن في تفسير القرآن. توفي سنة ٩٢٨ هـ، ينظر الأعلام للزركلي (٣٣١/٣).

^{٧١} في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨١م، ج ٥، ص ٣٠٠٤ - ٣٠٠٥.

اشتملت على موضوعات أخرى، قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان تعجب الكفار من نبوة المصطفى - ﷺ، ووصف المنكرين رسول الله - ﷺ - بالاختلاق والافتراء، واختصاص الحق تعالى بملك الأرض والسما، وظهور أحوال يوم القضاء، وعجائب حديث داود وقصة سليمان في حديث الملك، على سبيل المنة والعتاء، وذكر أيوب في الشفاء، والابتلاء، وتخصيص إبراهيم وأولاده من الأنبياء، وحكاية أحوال ساكني جنة المأوى، وعجز حال الأشقياء في سقر وأطى، وواقعة إبليس مع آدم وحواء، وتهديد الكفار على تكذيبهم للنبي المجتبي^{٧٢}

التناسب بين صفات صوت (ص) والمضمون العام للسورة

يقول الإمام الزركشي: " فتأمل ما اشتملت عليه سورة ص من الخصومات المتعددة فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ وقولهم: أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (5) ^{٧٣} إلى آخر كلامهم، ثم اختصاص الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصاص الملائكة في العلم، وهو الدرجات والكفارات، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود، ثم اختصاصه ثانيا في شأن بنيه وحلفه؛ ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم." ^{٧٤}

وقالت عائشة عبد الرحمن: "وتأمل ما اشتملت سورة (ص) على خصومات متعددة، فأولها خصومة الكفار مع النبي - ﷺ -، اختصاص الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصاص الملائكة في العلم، ثم تخاصم إبليس في شأن آدم." ^{٧٥}

وقد ورد صوت (ص) في السورة تسعا وعشرين مرة، في مطلع السورة ج آ ب ج، ثم جاءت تباعا في مضمون السورة في الألفاظ التالية: ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَاَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ (3) وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (5) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَيَّ إِلَهِيكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ (7) أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا

^{٧٢} بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج١، ص٣٩٩-٤٠٠.
٣ سورة ص، آية: ٥

١ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية، ج١، ص١٦٩-١٧٠.

^{٧٥} الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطي، دار المعارف، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٤٩.

عَدَابِ (8) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (9) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا^{٧٦} فَلْيَرْتَفُوا فِي الْأَسْبَابِ (10). وصفات صوت (ص) الفسيولوجية ومخرجها (أسناني، لثوي، احتكاكي، مهموس، مفخم، صفيري) جاءت لتلائم مضمون السورة من الخصومات المتعددة، و وافقه بذلك ابن القيم عن العلاقة بين بدء سورة (ص) بالحرف (صاد) وبين ما اشتملت عليه السورة من معاني الخصومة، فقال: " فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ، ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم، وهو الدرجات والكفارات، ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود، ثم اختصامه ثانيا في شأن بنيه وحلفه؛ ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم"^{٧٦} ورأت منال نجار أن: " معاني الخصومة جاءت لتتناسب مع صفات الهمس والاحتكاك لصوت "الصاد" لما تتطلبه الخصومة من احتكاك الأفراد بعضهم ببعض، ولما تتطلبه من وقت؛ فالأصوات الاحتكاكية تلبث زمنا على عكس الأصوات الانفجارية، وهذا يجعلنا نحس أن الخصومة قائمة لانتتهي، ناهيك عن أن الاحتكاك مع "الصاد" وصل أقصى درجاته، حيث يضيق مجراها جدا عند مخرجها فيحدث الهواء والنفس عند صدورهما احتكاكا يسمع كالصفيير، ويكون مخرجها من بين الأسنان مع ضغط اللسان؛ فيشعرنا هذا بمقدار الخصومة ودرجتها في هذه السورة."^{٧٧} وتابعت قولها: " والأصوات المهموسة مجهزة للنفس؛ لأنها تحتاج للنطق بها إلى قدر من هواء الرئتين أكبر مما تتطلبه نظائرها المجهورة، فهي تنتج بجهد مضاعف وهذا يلائم الخصومة التي تتطلب جهدا وتعبا، والخصومة تتطلب أيضا قوة وصلابة تستمدها من صفة التفتيح في صوت الصاد."^{٧٨}

حين تُصغي لصوت الصاد، نكاد نتلمس حقيقة هذا الصوت، ونَحَسُّ ماهيته. فهو من الأصوات الصفيرية^{٧٩} كما يَرَى الزمخشري، فالصاد صوت يصحبه صفييرٌ وأزيزٌ^{٨٠}. لذلك فصوت الصاد يَصْلِحُ لِمحاكاة الأصوات الطبيعية. يقول حسن عباس: " ولقد مَنَحْتُهُ هذه الخصائص الصوتية شخصيةً فذَّةً، طغى بها على معاني معظم الحروف في الألفاظ التي تَصَدَّرُها، لِيُعْطِيها من نقاء صوته صفاء صورةً وذكاءً معنى، ومن صلابته شِدَّةً وقوةً وفاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادةً صوتيةً نقيَّةً، ما كان أصلحها لِمحاكاة الكثير

^{٧٦} بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، جمعه المحقق محمد الندوي، ١٩٤٩م، ج٣، ص ١٣٤-١٣٥.

^{٧٧} القيم الدلالية لأصوات الحروف في العربية عود على بدء، منال نجار، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية)، مجلد ٢٤ (٩)، ٢٠١٠م، ص ٢٨٠٠.

^{٧٨} المرجع السابق، ص ٢٨٠٠.

^{٧٩} الصوتيات والفونولوجيا، مصطفى حركات، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م،

ص ٦٣-٦٤.

^{٨٠} أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة أحمد مختار، ص ٨٥.

من أصوات الناس والحيوانات وأحداث الطبيعة"^{٨١}. ولمحاكاة هذه الخصومات الشديدة ، والجدال المفرط ، وصدى ذلك على الأسماع. وكما ورد ذكر الخصومة في سورة (ص) وتناسب آيات الخصام مع صفات صوت (ص) ، نلاحظ أيضا ورود آيات الصبر في سورة (ص) ، وذكر قصة أيوب عليه السلام، رمز الصبر مفصلة ، وورود قصص بعض الأنبياء في السورة ، والتي كما ذكرت كتب التفسير أنها تصبيرا للنبي ﷺ في مواجهة قومه من كفار قريش، وترى الدراسة أن الصبر في سورة (ص) قد تناسب مع صفات صوت (ص) ، فمعلوم أن الانسان حال مايلم به أمر ما ، أو جلد يحتاج إلى التحلي بالصبر فيكون حاله بين استسلام وضعف، أو تجلد وتقوي بالصبر فتتناسب ذلك مع صفات الهمس والاحتكاك والتفخيم لصوت الصاد ، ولما يتطلبه الهمس من ضعف في الاعتماد على مخرجه وجريان النفس معه فهو يشعرا بالاستسلام والضعف، والصبر يتطلب التجلد والقوة للتغلب على الخصومات فيستمد ذلك من صفة التفخيم في صوت الصاد.

وجاء صوت (صاد) في بداية في التفسير بمعان مختلفة ، فقد أتت بمعنى: المصاداة، وأنت بمعنى : صدق الله، وقيل أنها جاءت قسم.^{٨٢} فتتناسبت مع استعلاء الصاد وإطباقه وقوته التي تكمن في التفخيم.

التناسب بين صفات صوت اللفظة وإيحاءاتها الدلالية في سورة (ص)

إن التناسب بين صفات صوت اللفظة وإيحاءاتها الدلالية في سورة (ص) واضح بشكل جلي، حيث من الملاحظ فيها استعمال الأصوات ذات النبر العالي لمناسبة التحدي الواقع فيها، ثم مناسبة التحسر الموجود على لسان الكفار في النار، وكذا العرض الوافي لشبه المجرمين وادعائهم على النبي محمد ﷺ، والرد عليها من خلال عرض القصص الأمامي السابق على النبي ﷺ، وقد انصبت عناية القرآن العظيم بالاهتمام في إذكاء حرارة الكلمة عند العرب، وتوهج العبارة في منظر حياتهم، وحذب البيان القرآني على تحقيق موسيقى اللفظ في جملة، وتناغم الحروف في تركيبه، وتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعه، فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات، فاختار لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كل لفظ متناسبا مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالاته السمعية من وجه آخر، وهنا ينبه القرآن المشاعر الداخلية عند الإنسان في إثارة الانفعال المترتب على مناخ الألفاظ المختارة في مواقعها فيما تشيعه من تأثير نفسي معين سلباً وإيجاباً.

^{٨١} خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٨م ، ص١٤٩.

^{٨٢} تفسير الطبري من كتابه جامع البيان في تفسير أي القرآن، الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١، ٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٦٠٥.

وبيان القرآن المجيد تلمح فيه الفروق بين مجموعة هذه الأصوات في إيقاعها، والتي كونت كلمة معينة في النص، وبين تلك الأصوات التي كونت كلمة أخرى؛ وتتعرف فيه على ما يوحيه كل لفظ من صورة سمعية صارخة تختلف عن سواها قوة أو ضعفاً، رقّة أو خشونة، حتى تدرك بين هذا وذاك المعنى المحدد المراد به إثارة الفطرة، أو إنكفاء الحفيظة، أو مواكبة الطبيعة بدقة متناهية، ويستعان على هذا الفهم لا بموسيقى اللفظ منفرداً، أو بتناغم الكلمة وحدها، بل بدلالة الجملة أو العبارة منضمة إليه.^{٨٣} أستعمل في سورة (ص) جملة من الألفاظ، والتي تصور التناسب بين صفات أصواتها وإيقاعاتها الدلالية، وتعرض الدراسة بعض الإيحاءات والدلالات البارزة في سورة (ص).

عند قراءة قوله تعالى: **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ**^{٨٤} يجذب انتباهنا هاتين اللفظتين (عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) بأصواتهما، فصوت (العين) المجهور،^{٨٥} يوحى بالفعالية والإشراق والظهور والسمو،^{٨٦} والعزة هي: حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب.^{٨٧} فناسب ذلك دلالات هذا الصوت، ثم جاء صوت الزاي بصفيره المدوي وجهره القوي، فأضاف لتلك العزة قوة وشدة بقوة صفير الزاي وجهرها، وهنا العزة لا تعني إلا شدة عزتهم باستكبارهم وما هو إلا

تعزز وذل لهم، ونلفت النظر إلى أن هناك رواية بقراءة لفظة (عزة) (غرة) وهي قراءة شاذة.^{٨٨}

ف (غرة) أنت مباشرة بمعنى الغفلة، وهذا يناسب الكفار وغفلتهم ، وصوت الغين مجهور احتكاكي،^{٨٩} ويوحى بغرغرة الموت والإمحاء، فصوته عندما يخرج من الحلق إنما يخرج مخرباً ممحو الألوان مجلبباً السواد.^{٩٠}

^{٨٣} الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين علي الصّغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ص١٦٣.

^{٨٤} سورة ص، آية: ٢.

^{٨٥} سر صناعة الإعراب، ابن جني، ص٢٢٩.

^{٨٦} خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، ص٢١١.

^{٨٧} مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص٥٦٣.

^{٨٨} قراءة شاذة قرأ حماد بن الزبير عن الكسائي، وميمون عن أبي جعفر، والجحدري من طريق العقيلي: في غرة، بالغين المعجمة والراء، أي في غفلة ومشاقفة، ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص٣٦٧.

ولاعم سموّ صوت العين وإشراقه وظهوره^{٩١} معنى لفظة (عزني) في قوله تعالى إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23)^{٩٢} أي: غلبنني^{٩٣}، وشدّد علي في القول وأغظ.^{٩٤}

وأما الشين في لفظة (لا تشطط) في قوله تعالى : إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22)^{٩٥} - بمعنى لاتجور^{٩٦}، والشطط: هو الإفراط في البعد^{٩٧} فتدل "على التقشي بغير نظام،"^{٩٨} وتدل معانيه على البعثرة والانتشار والتشتت والاضطراب والتخليط^{٩٩}، فهذا التشتت والاضطراب إنما يجلب التشويش على الحكم، وذلك الخلط إنما يوحى بالخلط بين الحق والباطل، أما صوت الطاء فهو تفخيم للتاء الرقيقة، وعندما ينفخ في الرقيق ويضخم، لا بد أن نحصل منه على ما هو مجوف كالطبل. وهكذا كان أشبه ما يكون بضجة الطبل،^{١٠٠} وترى الدراسة أن هذا الصوت يوحى بصوت مطرقة الحكم معلنة عن نهايته.

وفي لفظة (فقعوا) في قوله تعالى فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوجِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)^{١٠١} أي سجود تحية بالانحناء^{١٠٢}، والوقوف: السقوط، فالقاف تدل "على المفاجأة التي تحدث صوتاً"^{١٠٣} وكما هو معروف يأتي السقوط بغتة بلا سابق انذار، والقاف

^{٨٩} خصائص الحروف، حسن عباس، ص ١٢٦

^{٩٠} المرجع السابق، ص ١٢٦.

^{٩١} خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، ص ٢١١.

^{٩٢} سورة ص، آية: ٢٣

^{٩٣} مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٥٦٤.

^{٩٤} في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٣٠١٨.

^{٩٥} سورة ص، آية: ٢٢

^{٩٦} تفسير الجلالين، المحلي جلال الدين محد بن أحمد، والسيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن

بن أبي بكر، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٦٠٠.

^{٩٧} مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٤٥٣.

^{٩٨} تهذيب المقدمة اللغوية للعلالي، أسعد أحمد علي، ص ٦٤.

^{٩٩} خصائص الحروف ومعانيها، حسن عباس، ص ١١٥.

^{١٠٠} خصائص الحروف ومعانيها، حسن عباس، ص ١٢٠.

^{١٠١} سورة ص، آية: ٧٢.

^{١٠٢} تفسير الجلالين، المحلي، و السيوطي، ص ٦٠٤.

^{١٠٣} تهذيب المقدمة اللغوية للعلالي، أسعد أحمد علي، ص ٦٤.

صوت شديد، يفضي إلى أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدة^{١٠٤}، فناسب صوت القاف هذا السقوط القوي والانحناء العظيم في تلك اللحظة العظيمة .
أما لفظة (شقاق) عندما تنطقها تشعر كأن شقا يقسم الأرض، و كأنك تنقل صورة الشق إلى مخيلتك عندما تقرأ هذه اللفظة ، وانظر إلى صوت الشين في مطلع اللفظة -وهو صوت لثوي حنكي، احتكاكي ، مهموس-^{١٠٥}، وما يبرز به من تفشٍ^{١٠٦}، يبعثر النَّفس أثناء خروج صوته، فهو يماثل الأحداث التي تتم فيها البعثرة والانتشار والتخليط^{١٠٧}، ومعنى شقاق كما جاء في لسان العرب، (الشقاقة) : غلبة العداوة والخلاف شاقه مشاقة وشقاق: خالفه.^{١٠٨} إذن جاء صوت الشين بتفسيه وتبعه صوت القاف ، بجهره، وشدته واستعلائه ، ثم صوت الألف والذي يضيف خاصية الامتداد على معاني اللفظة، ثم يعاودنا صوت القاف بصفاته القوية والوقف على هذه الآية بقلقة كبرى، كل هذا ليضيف معنى الاضطراب وهذا يدخل بعمق المعنى من التفرقة والاختلاف .
وجاءت لفظة (عُجاب) في قوله تعالى: أَجَعَلَ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5)^{١٠٩} للدهشة والعجب، والعجب : حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، وهو مالا يعرف سببه. وجاءت عُجاب هنا بمعنى الإنكار،^{١١٠} وجاءت بصيغة مبالغة في الآية، يطالعنا في هذه اللفظة صوت العين وهو : صوت حلقى احتكاكي مهتز مجهور ، ثم يعقبه صوت الجيم ، يقول عنه العلابلي: (إنه للعظم مطلقاً)، وهو صوت مجهور^{١١١}، ويتردد إحياءاته بين الفخامة والعظم والامتلاء^{١١٢}، فيتبعه صوت الألف الذي يوحي بالامتداد وطول وعظم تعجبهم ، حتى يقف على ذلك الصوت المقلقل في حرف الباء ، والقلقة تعني الاضطراب، فدلّت هذه الصفات على طول تعجبهم وضخامته وتضخمه .

^{١٠٤} خصائص الحروف ومعانيها، حسن عباس، ص ١٤٤.

^{١٠٥} علم الصوتيات، عبد العزيز علام، ص ٢٧١.

^{١٠٦} التفشي هو : كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق به، ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، ص ٢٧٢.

^{١٠٧} خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، ص ١١٥.

^{١٠٨} لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٢.

^{١٠٩} سورة ص، آية: ٥.

^{١١٠} مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٥٤٧.

^{١١١} خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، ص ١٠٣.

^{١١٢} المرجع السابق، ص ١٠٥.

وهناك ألفاظ تجتمع صفاتها لتدل على الضعف والوهن، وهذا نجده في لفظة (مهزوم) في قوله تعالى: **جُنْدًا مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ (11)** ^{١١٣}، فالتعبير القرآني للفظ (مهزوم) فكأن الهزيمة صفة لازمة له، لاصقة به، مركبة في كيانه، يبرز في هذه اللفظة صوت الهاء، والذي يعد من أضعف الأصوات، فهو مهموس، احتكاكي، مرقق، يقول عنه العلايلي: (إنه للتلاشي) ^{١١٤}، فناسبت الهزيمة ضعف صوت الهاء.

وهكذا كل لفظ في القرآن الكريم أختير مكانه وموضعه من الآية، واختير صوته المنسجم مع الدلالات المقصودة، فاختر القرآن اللفظ المناسب، والصوت المناسب، ثم إن استنباط الدلالة صوتياً يوحى باستقلالية الكلمة المختارة؛ لدلالة أعمق وإشارة أدق.

التناسب بين طريقة نطق اللفظة ومعناها في سورة (ص)

إن حدوث الحرف يأتي بعد حدوث الصوت وأنه هيئة له. فالحرف هو ظهور حركة صوته في هيئة تمايز دلالتها. وبما قادنا إليه الفراهيدي من متابعة تلك الحروف عند خروجها من آلة النطق، وفق تدرج تصاعدي من الجوف إلى الشفتين، جاعلاً من آلة النطق جهازاً مصدراً للصوت؛ أي لحركة الحرف، ينبغي لنا أن نتدرج معه في متابعة عمل آلة النطق، ومُعابنة تحكّمها في إظهار وزن وقوة وشدة وشفافية وامتداد حركة كل من حروفها؛ لذلك سننبئ هذه الآلية في استخراج دلالة كل حرف، لما يساعد من ربط بين الدلالة الحركية وسببها، على استنطاق المعنى الحركي ^{١١٥}. طريقة النطق المعني بها طريقة نطق المتكلم للفظه وفق مخرج أصواتها الناتج عن شعوره بإحساس المتلقي، وإظهار صفات صوت الحرف عند النطق به ومناسبة ذلك للمعنى أم لا، ومن وجود ذلك أو عدمه. ولا شك أن سورة (ص) قد حوت من الدلالة على ذلك المعنى، إذ نبر الحديث في السورة قوي، وذلك يستدعي طريقة النطق التي توحى بالمعنى ودلالته. يقول المطعني: "وكثيراً ما كان يُشرك العقل والإحساس والعواطف والوجدان في الخطاب، ولذلك فإن المذهب الكلامي فيه لم يأت على الطريقة النطقية الجافة، بل ساق لهم الحقيقة نابضة حية لا يحير في تمثيلها عقل، ولا تجمد في الإحساس بها عاطفة، ولا يتبلد شعور." ^{١١٦} ويظهر هذا بشكل واضح في طريقة نطق اللفظة، ولمعرفة التناسب بين طريقة نطق اللفظة ومعناها، فيجب عليك أن تعرف مخارج أصوات اللفظة، وإيحاءاتها، فمثلاً لفظة (شقاق) تساعد طريقة نطقها على إظهار معناها، فيطالعنا صوت الشين والذي يخرج من وسط اللسان، ثم يتبعه صوت القاف والذي يندفع من

^{١١٣} سورة ص، آية: ١١.

^{١١٤} خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، ص ١٩١.

^{١١٥} ينظر: الأبجدية ودلالاتها، النظرية والتطبيق، عاصم المصري، دار كنعان، ط ١، ٢٠١٣م.

^{١١٦} خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة،

ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، ج ٢، ص ٤٣٤.

أقصى اللسان من منطقة اللهاة ، ويتبعه صوت الألف المدية والتي تخرج من الجوف ثم يعود إلى صوت القاف مرة أخرى ، فالذهاب والعودة للمخرج يعطي صورة لما يوحى إليه من معنى .

أما لفظة (عُجاب) فيطالعنا صوت (العين) الذي يخرج من الحلق، وزادته حركة الضم عمقا، ويتبعه صوت الجيم الشجري الذي يخرج من وسط اللسان، ثم صوت الألف الجوفي الذي ينتشر داخل الفم، إلى أن يصل إلى الباء، حيث تخرج من الشفتين، فهذا الخروج من العمق متسللا إلى الخارج يوحى بقوة التعجب والإنكار.

ولفظة (صيحة) يطالعنا هذا الصوت الصغير المتجسد في الصاد، والذي يخرج من طرف اللسان مع ما بين الأسنان العليا والسفلى مع ترك فرجة لخروج هواء الصغير، فصوت الصاد وحده يكفي للدلالة على الصيحة والنداء وانتشارها لتخرج الناس ليوم البعث.

ولفظة (غواص) فصول الغين الذي يخرج من أدنى الحلق ، ثم صوت الواو الذي يخرج قريبا منه، جميعها تدل على العمق، ثم يأتي صوت الألف الذي يخرج من الجوف ، ليدل على الغوص والعمق في هذه البحار.

التنغيم وأثره في المعنى في سورة (ص)

التنغيم:

التنغيم هو منحى صوتي نغمي يحمله كل قول، ويعبر بواسطته عن معان تضاف إلى المعنى الأصلي المحمول، يقول ماريوباي: التنغيم عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين.^{١١٧} وهو صعود وهبوط النغم؛ لبيان انطباع ما عليه المتكلم من مشاعر، يقول خليل العتية: "التنغيم هو تغييرات تتتابع صوت المتكلم من صعود وهبوط، ومن هبوط إلى صعود؛ لبيان مشاعر الفرح والغضب، والنفي والإثبات والتهكم والسخرية والاستهزاء والاستغراب."^{١١٨} ويقول السعران: " هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام وهذا التغيير في الدرجة يرجع إلى التغيير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية."^{١١٩} ويفرق بعض الدارسين بين نوعين من اختلاف درجة الصوت هما: النغمة، وهي الأثر الناتج من ازدياد عدد الذبذبات أو انخفاضها على صعيد

^{١١٧} أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة أحمد مختار عمر ، عالم الكتب، ط٨، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٩٣.

^{١١٨} في البحث الصوتي عند العرب، الدكتور خليل إبراهيم العتية، ص٦٣.

^{١١٩} علم اللغة ، محمود السعران، ص ١٩٢.

الكلمة. والتنغيم هو اجتماع نغمات ضمن مجموعة من الكلمات على صعيد الجملة. وهذا التنغيم له وظائف نحوية كالتوكيد، والتعجب، والاستفهام، ونحو ذلك^{١٢٠}. وهكذا تلوين التنغيم يتم عن طريق علو الصوت أو انخفاضه، ومدة التلطف بالقول، والوقف،

والتنغيم قد ظهر أثره واضحا في سورة (ص) وعليه دلائل:
أولاً: تعدد النغم أثناء السورة؛ وذلك لتعدد الموضوعات المشتملة عليها بين صعود وهبوط، لبيان مشاعر الفرح والغضب، والنفي والإثبات، والتهكم والسخرية والاستهزاء والاستعراب، والتعجب، والدهشة. فقد طالعنا في بداية السورة القسم في ج أ ب ب ب ب ب^{١٢١} والقسم له دلالة التأثير، فله نغمة يؤدي بها، فإن هذ النغمة تكون مصاحبة للقسم، وتدل على التأكيد، ونجد دلالة الدهشة والاستعراب في (عُجَاب) من قوله تعالى: أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5)^{١٢٢} فهذه الدلالة لها نغمة معينة تؤدي بها، والتي تثير العجب والاستعراب، وذلك بمحاولة مد صوت الألف ليبين تلك النغمة، ونجد دلالة السخرية والاستهزاء في لفظة (مقتحم) من قوله تعالى: هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (59)^{١٢٣}، فعند نطق اللفظة نجد أننا نقف على صوت القاف ضاعطين عليه؛ لإبراز الشدة والعظمة في صوت القاف إذ إن هذه النغمة توضح ذلك الاقتحام الذي يكون في النار، والحوار الذي يدور بين الكفار فيما بينهم، فوضحت قوة هذا الاقتحام.

ثانياً: أن السورة قد تعدد فيها ذكر الجنة والنار، وذكر الصلاح والفساد أكثر من مرة، وذلك من شأنه علو النغمة المؤثرة. في قوله: هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49)^{١٢٤} في لفظة (لحسناً) نجد ارتكاز التنغيم على صوت السين، إذ يجري في الهمس، وهذا دلالة على اللطف واللين للمتقين في الجنة، وحسن مرجعهم، جَنَاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ الأبواب (50)^{١٢٥} فنجد ارتكاز النغمة في لفظة (مفتحة) على صوت التاء والذي نجد فيه فيه كمال الهمس وزيادة التركيز بالتشديد والمفتحة، إذ تبين تحتها معنى بديعا كما قال ابن القيم: أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم، بل تبقى مفتحة^{١٢٦}. وقوله تعالى: إِنَّ

^{١٢٠} في البحث الصوتي عند العرب، خليل أحمد عطية، ص ٦٣.

^{١٢١} سورة ص، آية: ١.

^{١٢٢} سورة ص، آية ٥.

^{١٢٣} سورة ص، آية ٥٩.

^{١٢٤} سورة ص، آية ٤٩.

^{١٢٥} سورة ص، آية ٥٠.

^{١٢٦} التفسير القيم، الامام ابن القيم، تحقيق: محمد الفقي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط ١،

١٤٠٨/٥١٩٨٨م، ص ٤١٨.

هَذَا لَرَزُقْنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (54) ^{١٢٧} نجد ارتكاز النعمة واضحا في لفظة (نفاد) فامتداد صوت المد الألف يدل على امتداد نعيمهم في الجنة. وفي قوله تعالى: جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيُسَّسُ الْمَهَادُ (56) ^{١٢٨} تركيز النعمة على صوت الصاد في يصلونها بتفخيم قوي، يدل على عظم وشدة نار جهنم.

ثالثا : يظهر التنغيم في سورة (ص) في أساليب الطلب والتقرير والتأكيد والاستفهام، بغير (هل) و (الهمزة)، فينتهي الكلام بنعمة هابطة في تلك الأساليب، وأن الكلام غير تام المعنى لابد أن ينتهي بنعمة صاعدة أو ثابتة أعلى مما قبلها، وكذلك الشأن في الاستفهام المبذوء بهل والهمزة. ففي قوله تعالى: كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَوَلَاتَ جِبْنَ مَنَاصٍ (3) ^{١٢٩} جاء التنغيم هنا في موضعين الأول في قوله (كم)، فجاءت تقريرا للخبر وليس استفهاما، لأنها هنا خبرية، وإنما دل عليها التنغيم ، حيث جاءت نغمتها هابطة على عكس نعمة الإنكار، الموضع الثاني في قوله (ولات حين مناص) جاء التنغيم هنا دالا على الإنكار ، أي لا موضع لكم للعوث ولا للخلاص. ^{١٣٠} وفي قوله تعالى: أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابٍ (8) ^{١٣١} جاء التنغيم في هذه الآية على ثلاثة مواضع الأول في الاستفهام (أنزل) فدللت النعمة على إنكار الكفار وتعجبهم من اختيار الله للرسول ﷺ ، الموضع الثاني في (بل هم في شك من ذكري) و دللت النعمة على تكذيبهم وتعجبهم وانكارهم، الموضع الثالث في (بل لما يدوقوا عذاب) دلت النعمة هنا على إثبات مابعد (بل) بوقوع العذاب عليهم وإبطال ما قبل (بل) .

الفواصل القرآنية وأثرها في البنية الإيقاعية للتعبير القرآني ودورها في إتمام المعنى واتساعه في سورة (ص).
تعريف الفاصلة:

ذكر ابن منظور في تعريفها أن: " أواخر الآيات من كتاب الله فواصل. ^{١٣٢} وعرفها الداني بأنها " كلمة في آخر الجملة. " ^{١٣٣} وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب؛ لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلام، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسموها

^{١٢٧} سورة ص، آية: ٥٤ .

^{١٢٨} سورة ص، آية: ٥٦ .

^{١٢٩} سورة ص، آية: ٣ .

^{١٣٠} في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٥، ٣٠٠٧ .

^{١٣١} سورة ص، آية: ٨ .

^{١٣٢} لسان العرب، ابن منظور، ج ٦، ٢٠١ .

^{١٣٣} البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ١، ٥٣ .

القفلة^{١٤٠}، وهذه الآيات التي وردت فيها فاصلة الباء تتحدث عن تكذيب الكفار وعنادهم وتحديهم، ثم قصة داود عليه السلام في الخصومة التي جاءت إليه، ثم قصة سليمان عليه السلام في الفتنة التي فتن فيها، وقصة أيوب في صبره وقصص الأنبياء بعده، ثم قصة أهل الجنة. من شأن هذه الأحداث الشدة والتفاعل والأداء العالي الصارخ، وهذا ما يناسبه صوت الباء بنبره العالي (القفلة) وانفجاره الصارخ، والتحديات الموجودة في قصص السورة يناسبها ذلك.

٢- النوع الثاني من الفواصل، والتي حازت المرتبة الثانية في مجيء الفواصل في سورة (ص)، الآيات المنتهية بنون، وهي (١٨) فاصلة، والآيات هي: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ۗ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (76) قَالَ فَأَخْرَجْ مِنْهَا قَائِكُمْ رَجِيمًا (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوْبَهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) نلاحظ في تسلسل الأعداد في هذه الآيات أنها تصاعديّة متتابعة، من الآية الثامنة والستين وحتى الآية الثامنة والثمانين، ما عدا آية واحدة هي آية (٨٤) بغير فاصلة النون ثم تعود سريعاً إلى النون، وهذا يعني أن الموضوعات التي في هذا الشطر من السورة تناسبها هذه الفاصلة بما تحويها من صفات، وصفة النون البارزة هي الغنة التي تناسب التطريب والتحزين والآيات التي وردت فيها فاصلة النون جاءت معظمها في آخر السورة في الحديث عن الجنة والنار، والتي يناسبها المقامان مقام التطريب في الفرح (أهل الجنة)، ومقام التحزين (في النار)، ثم قصة إبليس في تحدي آدم والتربص به منذ أمر بالسجود له فأبى.

٣- النوع الثالث من الفواصل من حيث العدد الفواصل المنتهية بصوت (الراء) وهي تعد (١٥) فاصلة: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (38) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ . نلاحظ في تسلسل الأعداد هنا في فاصلة (الراء) أيضاً أنها تصاعديّة متتابعة بدءاً من الآية الخامسة والأربعين وحتى الآية الثامنة والأربعين ثم تنقطع وتبدأ من الآية التاسعة والخمسين في تسلسل تصاعدي حتى الآية السادسة والستين، وتنفرد في آية المقدمة (١) وآيتي (٢٧، ٢٨)، وهذا يعني أن الموضوعات التي في هذا الشطر من

^{١٤٠} الروضة الندية شرح متن الجزرية، محمود بن محمد عبد المنعم العبد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٤١.

السورة تناسبها هذه الفاصلة بما تحويها من صفات، ولو تعرفنا على صفته، فإن الصفة البارزة فيه كما قال العبد: "التكرير"^{١٤١} وهذه الصفات مع ما فيها من الشدة فإن الصفة البارزة هي التكرير وهي صفة يوتى بها للتنبيه والتذكير، والمواضع التي جاءت فيها فاصلة الرءاء هي مواضع الحديث عن مكانة الأنبياء العاملين بالحق، والذين كانت لهم بصيرة في الحق وقوة في الدين (أولي الأيدي والأبصار)^{١٤٢}، ثم في الخصام الذي دار بين أهل النار، وكأن الفاصلة تنبه إلى تأمل الضدين والاعتبار بهما.

٤- النوع الرابع من الفواصل الآيات المنتهية بصوت (القاف)، وهي (٦) مواضع. نلاحظ في هذه النهايات أنها آيات متفرقة بين ثنايا السورة من غير ترتيب، فمن صفات (القاف) الشدة، الاستعلاء، الانفتاح، الإصمات^{١٤٣}، القفلة^{١٤٤}، وقد ناسب ذلك الآيات التي انتهت بالقاف من حيث الموضوع؛ حيث إنها تتحدث عن شقاق الكفار للحق وإعراضهم عنه، ثم صوت التسبيح المفعم بالاستغراق بالعشي والإشراق، وقتل سليمان للخيل التي أخرته عن فرض الذكر، ثم الغساق طعام أهل النار... إلخ. هي أماكن تحتاج النبر العالي لصوت (ق) ولذلك الانفجار.

٥- النوع الخامس الفواصل المنتهية بصوت الدال، جاء في (٦) مواضع وصوت الدال، مجهور انفجاري يدل على الصلابة والقساوة والشدة والفعالية، ويبدل عل الظلام وألوان السواد.^{١٤٥} قال العبد: " (الدال) لها ست صفات: الجهر، الشدة، الاستعلاء، الانفتاح، الإصمات، القفلة."^{١٤٦} وقد تناسبت هذه الصلابة والشدة في صوت الدال مع تلك الأوتاد التي كان يعذب بها فرعون قومه، وتلك الأصفاد التي ما إن تراها حتى يخيل إليك السجن والظلام والسواد، وهذه الجياد بجودتها وأصالتها وسرعتها ووقعها، لا تدل إلا على القوة والشدة والصلابة.

٦- النوع السادس الفواصل المنتهية بصوت الميم، جاءت في (٣) مواضع، نلاحظ في هذه النهايات أنها آيات متفرقة بين ثنايا السورة من غير ترتيب، وصوت الميم مجهور، انفجاري، فلاءمت هاتان الصفتان موضوع النبأ العظيم، والوقت المعلوم، ورجم الشيطان.

^{١٤١} الروضة الندية شرح متن الجزرية، محمود العبد، ص ٤٣.

^{١٤٢} إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج ١، ص ٧٠.

^{١٤٣} الإصمات: ثقل الحرف عند النطق به لخروجه بعيدا عن طرف اللسان، ينظر العميد في علم التجويد، محمود علي بسة، ص ٦٢.

^{١٤٤} الروضة الندية شرح متن الجزرية، محمود العبد، ص ٤٣.

^{١٤٥} خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، ص ٦٧-٦٨.

^{١٤٦} الروضة الندية شرح متن الجزرية، محمود العبد، ص ٤٢.

٧- النوع السابع الفواصل المنتهية بصوت الصاد ، جاء في موضعين: فجاء صوت(ص) ليلائم هلاك تلك القرون؛ فمرور الهواء بنطق صوت الصاد بهمسه واحتكاكه وإحداثه للصفير يشعرك بخواء تلك الأقوام ، فليس اليوم لكم مفر أو مهرب.

٨- جاء صوت اللام في آية واحدة مجي اللام بفاصلة واحدة في السورة ، وفي هذه الآية العظيمة التي تشير بأن الحق واقع، وهو قول واحد لا مفر منه، فناسب هذا الانفراد مجيئ هذه الفاصلة منفردة، وناسب جهر صوت اللام عظم صوت الحق.

٩- وجاء صوت الجيم في آية واحدة .
ليعلن الله تعالى وليؤكد على وقوع العذاب بأشكال متعددة للطاغين، فناسب ذلك جهر الجيم.

مما سبق نوقن أن اختلاف الفاصلة أعطى بعدا جديدا للمعنى وإثراء له واتساعا وإيضاحا. قال الكرمانى^{١٤٧}: " سُورَة ص بنيت فواصلها على ردف أو آخرها ... فالقصد للتوفيق بالألفاظ مع وضوح المعاني." ^{١٤٨} وربما أن اختلاف فواصل السورة جاء لعة النغم والتنوع، قال القاسمي: "وقد تخالف فواصل آخر السورة أولها لتطريب ذهن السامع وللإشعار بلطافة ذلك الكلام." ^{١٤٩}

التحليل الصوتي الدلالي لسورة (ق)

حول سورة (ق)

أولاً: اسمها.

جاءت تسميتها بسورة (ق) وهذا الاسم الأول الذي اشتهرت به ، وابتدأت به وهو (ق)، ونبه السيوطي أن السورة تسمى سورة ق، وذلك لبدايتها ب (ق) وتسمى أيضا سورة الباسقات.^{١٥٠}

ثانياً: عدد آياتها.

^{١٤٧} محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء عالم بالقرآنت. له: البرهان في متشابه القرآن وشرح للمع لابن جني واختصاره والإيجاز، توفي سنة ٥٠٥ هـ، ينظر أعلام الموقعين للزركلي (١٦٨/٧).

^{١٤٨} أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرمانى محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، د.ط، ص ٢١٧.

^{١٤٩} محاسن التأويل، الحلاق القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ، ج ١، ص ١٧٤.

^{١٥٠} الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م، ج ١، ص ١٩٤.

وهي "أربعون وخمس آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف"^{١٥١}، وعدد كلماتها ثلاث وسبعون وثلاثمائة، وترتيبها في المصحف الخمسون^{١٥٢}. وهي مكية باتفاق.

مضمون السورة

من المفهوم أن سورة (ق) هي أول جزء المفصل، والذي كان يقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم في الجمع والجماعات، فكان جديراً بها أن تكون مقدمة في مثل تلك المواقف، يقول البقاعي^{١٥٣}: "ولذلك كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقرأ في خطبة الجمعة سورة «ق» فيفتتح للجماعة المتوجه بخطبة يوم الجمعة إليهم، لأنها صلاة جامعة الظاهر بفاتحة المفصل الخاص، وفي مضمونها من معنى القدرة والقهر المحتاج إليه في إقامة أمر العامة ما فيه كفاية"^{١٥٤}.

وعن مقصود سورة (ق) وبيان موضوعات السورة وما اشتملت عليه من مواقف ومشاهد وأحداث، قال الفيروز آبادي: "مقصود السورة: إثبات النبوة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيان حجة التوحيد، والإخبار عن إهلاك القرون الماضية، وعلم الحق تعالى بضمائر الخلق وسرائرهم، وذكر الملائكة الموكلين على الخلق، المشرفين على أقوالهم، وذكر بعث القيامة، ودل العاصين يومئذ، ومناظرة المنكرين بعضهم بعضاً في ذلك اليوم، وتغيظ الجحيم على أهله، وتشرف الجنة بأهلها، والخبر عن تخليق السماء والأرض، وذكر نداء إسرافيل بنفخة الصور، ووعظ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخلق بالقرآن المجيد في قوله نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدَ"^{١٥٥}.

^{١٥١} البيان في عد أي القرآن، أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان، تحقيق: غانم قدوري، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٢٣١.

^{١٥٢} التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، د.ط، ١٩٩٧م، ج ٢٦، ص ٢٧٤.

^{١٥٣} إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. له: عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. توفي سنة ٨٨٥ هـ. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩ هـ) حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط - دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ج ٩، ص ٥٠٩، الأعلام للزركلي، ج ١، ص ٥٦.

^{١٥٤} نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو بكر البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، ج ٢٠، ص ٢٨٢.

^{١٥٥} سورة ق، آية: ٤٥.

وقد جمع سعيد حوى موضوعات سورة (ق) وما يتعلق بها من مناسبة في الموضوع وبين ما قبلها وبينها وبين ما بعدها فقال: عالجت سورة (ق) "العجب من البعث، وموضوع التأكيد بالحق، وهما الموضوعان اللذان يجابههما المسلم في حركته، وقد عالجت سورة (ق) العقبين الرئيسيين اللتين سيصادفهما صاحب الدعوة الأول، والجماعة الإسلامية معه، وهما عقبتا: التأكيد، والعجب من مضمون الرسالة، وهذا معنى من معاني سورة (ق)، ومظهر من مظاهر التكامل ما بين سورة (ق) ومجموعتها، والناظر فيما اشتملت عليه سورة (ق) يرى أنها من أشمل وأجمع سور القرآن للموضوعات، وذلك رغم صغرهما"^{١٥٧}.

التناسب بين صفات صوت (ق) والمضمون العام للسورة .

المتأمل لسورة (ق) وهي من السور التي اجتمعت على الحروف المفردة: كيف تجد أنها مبنية على كلمة ذلك الصوت، فقله تعالى **ثَ أَب بَ بِ ثَ**^{١٥٨} نلاحظ أن السورة مبنية على صوت القاف وعلى القافية : من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مراراً؛ والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين، وقول العتيد، وذكر الرقيب، وذكر السابق، والقرين، والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين، وذكر القلب، والقرآن، والتنقيب في البلاد، وذكر القتل مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، وبيسوق النخل، والرزق، وذكر القوم، وخوف الوعيد، وغير ذلك.^{١٥٩} ويقول محمد الصغير معقبا على كلام الزركشي: "والحق أنني تتبعت سورة (ق) فوجدت ذكر هذا الحرف قد تكرر أربعاً وخمسين مرة في خمس وأربعين آية زيادة على الحرف الاستفتاحي. فما هذا السر الصوتي لهذا الحرف؟ وما علاقة تسمية السورة به من خلال هذا البناء عليه؟ وما هو موقع القفلة في القاف، والشدة في صوتها، والجهر بأدائها، والانفتاح عند نطقها بهذا التكرار في شتى الكلمات، مما ذكره الزركشي ومما لم يذكره."^{١٦٠} وجميع ما ذكر من معاني في السورة مناسباً لما في صوت (ق) من الشدة والجهر والعلو والانفتاح ، يقول ابن القيم: " فانظر تجد السورة مبنية على كلمة صوت القاف وعلى الكلمات القافية من ذكر القرآن، وذكر الخلق، وتكرير القول ومراجعته والإلقاء في جهنم، والتقديم بالوعد، وذكر المتقين، وذكر القلب والقرون والتنقيب في البلاد،

^{١٥٦} بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج١، ص٤٣٩.

^{١٥٧} الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ج٩، ص٥٤٧٢.

^{١٥٨} سورة ق، آية: ١.

^{١٥٩} البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص١٦٩.

^{١٦٠} الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين علي الصغير ، ص٩٢.

وذكر القتل مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، وبسوق النخل و الرزق، وذكر القوم وحقوق الوعيد.^{١٦١} وكان صوت القاف الذي يبدأ الانطلاق به من أول السورة بوقعه الحاد هو إشارة انطلاق لمعركة.

وترى منال نجار أننا نستطيع أن ننتبين "العلاقة بين صفات هذا الصوت (انفجاري، مهموس، مفخم) عند نطقه بهذا التكرار في شتى الألفاظ وبين معاني السورة ؛ فصفنا الانفجار والتفخيم تليقان بمعان الوعيد الشديد، والعذاب الأليم، والحساب الدقيق، وقضية الموت والبعث، والحشر والحساب، وإنكار المشركين له."^{١٦٢}

وتتابع قولها: وأنت عندما تسمع صوت القاف يتكرر أكثر من مره في هذه السورة ، فكأنك تسمع شق الأجسام وقلعها دفعة واحدة وفصلها والإبانة عنها ، وهذا يتناسب مع قضية البعث والحشر ومع معاني الوعيد الشديد، والعذاب الأليم، والحساب الدقيق ، بل لا يوجد صوت غير القاف أكثر ملاءمة لهذه المعاني."^{١٦٣}

وترى منال نجار أن صفة الهمس جاءت مناسبة لمعاني هذه السورة من جهة أخرى عندما قالت: "فالملاحظ هنا أن القرآن الكريم لا يدخل مع المشركين في جدل ذهني لإثبات البعث عند سؤالهم: أَلَا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ١٦٤ وإنما يحيي قلوبهم لتتفكر هي وتتدبر ، ويمس وجدانهم ليتأثروا بالحقائق المباشرة ؛ فيوجه أنظارهم إلى مظاهر الكون من : سماء وأرض ورواسٍ، وإلى الماء النازل من السماء ، وإلى النخل ، وإلى الجنات والنبات، فأنت تطالع كل ذلك من خلال العقل والقلب والعين وحديث النفس ، وهذا يلائم صفة الهمس في صوت القاف."^{١٦٥}

وتجد الدراسة صوت (ق) بتفخيمه، وهمسه، وانفجاره، وقلقلته، ناسب ماجاءت به السورة من معاني دللت على (القدرة) الإلهية وعلى عظمتها وقوتها؛ فتفخيم صوت (ق) ناسب قدرة الله سبحانه على تنزيل القرآن أولاً، ثم قدرته في خلق السماوات والأرض، ومدها، وإنشاء الرواسي فيها، وقدرته على الإمامة ثم البعث في خلق جديد.

التناسب بين صفات صوت اللفظة وإيحاءاتها الدلالية في سورة (ق)

تعتمد مفردات هذه السورة إلى الوقع الخاص بها ، المتجلى في مفردات منتقاة ، وفي صفات أصوات تشاكلت لتصور لنا أحداث سورة (ق) ، فقد وُضع كل صوت لغوي في مكانه، دون أن يخل بنظام الآيات الذي عجز العرب أن يأتوا بمثلها ، ونجد أن سورة (ق) استوعب مظاهر الدلالة الصوتية في جملة من الألفاظ، وعبرت عنها بمختلف

^{١٦١} بدائع الفوائد، ابن القيم، ج ٢، ص ١٣٤.

^{١٦٢} القيم الدلالية لأصوات الحروف في العربية عود على بدء، منال نجار، ص ٢٧٩٩.

^{١٦٣} المرجع نفسه، ص ٢٧٩٩.

^{١٦٤} سورة ق، آية ٣.

^{١٦٥} القيم الدلالية لأصوات الحروف في العربية عود على بدء، منال نجار، ص ٢٧٩٩-٢٨٠٠.

الصَّوَرِ النَّاطِقَةِ، فلكلِّ صوت من أصواتها سمات خاصَّة به تميزه، وقد يشترك مع غيره في بعض هذه السَّمات، فتشكَّل له ملامح موحية، وسمات قوَّة أو ليونة.
ففي قوله تعالى: وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١٦٦ برزت أمامنا لفظة (باسقات) فتجد الدراسة أن صوت الباء بجهره وانفجاره، يوحى بالقوة والصلابة، ويصاحب خروجه انفتاح المخرج دفعة واحدة، فهذه القوة تحاكي قوة تمسك النخل وتشبث جذوره في الأرض، ثم جاء صوت الألف الذي يوحى بالامتداد، لتنتقل من تلك الجذور إلى السماء طولا، ثم جاء صوت القاف بتفخيمه واستعلائه، ليبعث إلى أذهاننا منظر النخل وأغصانه منفردة في السماء، ثم يأتي صوت الألف بامتداده مع صفة التفخيم التي يأخذها من القاف^{١٦٧}، ليعطينا طولا فوق طول وتفخيما فوق تفخيم، وكأنها نوع يختلف عن تلك الأشجار.

وفي لفظة توسوس في قوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ^{١٦٨} وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ^{١٦٨} تجد الدراسة في هذه اللفظة صوت (السين) الاحتكاكي المهموس على تصوير حالة الهمس الخفي التي يخافت بها أهل الجرائم والمكائد، وبذلك يصوِّر جرس الأصوات جو الوسوسة في نفس هذا الإنسان، وتكرار صوت السين هنا يدل على تكرار هذه الوسوسة في نفسه.

وسماع صوت (القاف) في لفظة (الحق) في قوله تعالى: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ^{١٦٩} ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٦٩ يُوحي إلى موطن الدلالة، فقد وافقت قلقله (القاف) موقف صلابة الإيمان بمعرفة الحق، بأن الموت، في نزعاته وشهقاته، وسعادته، وشقائه أقوى وأعظم من مشاهد الكون والبعث وغيرها.^{١٧٠}

وجاء صوت (ج) في لفظة (الخروج) بجهره وتفخيمه يناسب عظمة ذلك اليوم الذي يخرجون فيه للحساب وبيعثون فيه.

وجاءت (ب) في لفظة (مريب) في قوله: مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ بقلقلتها تناسب شكهم واضطرابهم، وعدم الاستقرار والتصديق بالحق.

وبهذا يتبين لنا ماتوحية اللفظة من معاني تهدينا إليها أصواتها، وما تشعرونا به من أحاسيس من خلال أصواتها، لهذا لا بد أن نتخذ من تلك الصفات منطلقا لمعرفة معاني أصوات الحروف في اللفظة.

١٦٦ سورة ق، آية: ١٠

١٦٧ المد بالألف يتبع ما قبله في الصفة إن كان تفخيما أو ترفيقا.

١٦٨ سورة ق، آية: ١٦.

١٦٩ سورة ق، آية: ١٩

١٧٠ فتح القدير، الشوكاني محمد بن علي محمد عبد الله، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ، ج ٥،

ص ٧٨.

التناسب بين طريقة نطق اللفظة ومعناها في سورة (ق)

وهنا تعرض الدراسة بعض الألفاظ في سورة (ق) والتي لها طريقة في النطق تساعد على إظهار المعنى :

يقول الله تعالى: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ^{١٧١}

فأول ما يطالعنا في لفظة (سكرة) هو صوت السين ، ويخرج هذا الصوت من طرف اللسان وما يليه من الشق بين الثنيتين^{١٧٢} ، فيخرج هواء الصفير محدثا هذا الصوت ، ثم ينقطع هذا الصوت باصطدامه بصوت الكاف الساكن ، والذي يخرج من أقصى اللسان منفرجا عن الحنك الأعلى ، منسفلا إلى الحنك الأسفل^{١٧٣} ، ويخرج من المنطقة القاسية كما يقول علماء التجويد ، يتبعه صوت الراء المنفرد بصفة التكرار وهو يخرج من أدنى طرف اللسان ، داخلا إلى ظهر اللسان قليلا^{١٧٤} ، وهذا كله يناسب انتراع الروح وسكرات الموت.

وفي قوله تعالى: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ^{١٧٥} يخرج صوت الكاف من أقصى اللسان، في لفظة (كشفتنا) ، يليه صوت الشين الذي يخرج من وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك^{١٧٦} ، ثم يتبعه حرف الفاء ويخرج من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنيتين العلويتين^{١٧٧} ، وهكذا انتقلت الأصوات من أقصى اللسان مارة بوسط اللسان إلى أن خرج الصوت مندفعاً من الشفتين ظاهراً منها ، وهو ما يوحي إليه معنى الكشف والظهور .

أما لفظة توسوس في قوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ^{١٧٨}

فترى تكرر صوتي الواو والسين ، فصوت الواو يخرج من الشفتين ، والسين يخرج من طرف اللسان مع ما بين الثنيتين ، ومن هنا فإن خروج الواو والسين من طرف اللسان ومن الشفتين يدل على خفتها وضعفها كما الوسوسة .

وأخيرا إن التناسب بين طريقة نطق اللفظة ومعناها، يُحتاج فيه إلى معرفة مخارج الأصوات التي تنتج اللفظة، لنطقها بشكل صحيح، فتؤدي إلى معناها الصحيح.

^{١٧١} سورة ق، آية : ١٩

^{١٧٢} مخارج الحروف وصفاتها، ابن الطحان، ص ٨٢.

^{١٧٣} مخارج الحروف وصفاتها، ابن الطحان، ص ٨١.

^{١٧٤} المصدر نفسه، ص ٨٣.

^{١٧٥} سورة ق، آية: ٢٢

^{١٧٦} مخارج الحروف وصفاتها، ابن الطحان، ص ٨١.

^{١٧٧} المصدر نفسه، ص ٨٣.

^{١٧٨} سورة ق، آية : ١٦ .

التنغيم وأثره في المعنى في سورة (ق)

يظهر التنغيم في سورة (ق) ، بشكل واضح جلي إذ يظهر بعدة دلالات ، فينتاب القارئ صعود وهبوط ، لبيان انطباع ما عليه المتكلم من مشاعر، ويظهر ذلك النغم والتنغيم ، ليشير إلى بعض الدلالات، كدلالة الإنكار ، والتهمك ، والسخرية، والاستهزاء، والاستغراب، والتعجب، وإنما جاء التنغيم دالا على الإنكار؛ وذلك أن، سؤالهم عن حالهم بعد موتهم وحيلولتهم ترابا، ليس استفهاما غرضه الاستفسار أو طلب الجواب؛ وإنما إنكارهم لأن يبعثوا من جديد.

وجاء التنغيم دلالة على التقرير والإخبار، فالسؤال هنا ليس استفهاما يراد به الجواب، وإنما يتضمن إخبارا، فالله تعالى لم تكن له صعوبة في خلقهم أول مرة، فكيف به أن يتعب من بعثهم من جديد؛ بل كما خلقهم أول مرة، يعيدهم بعد موتهم خلقا جديدا ، وجاء صوت السين بهمسة وصفيره، في لفظة (لبس) دالا على ما يتردد في النفس، وكأنه يهمس لنفسه بشك هل نخلق من جديد؟

وإن لنغمة الحركة الطويلة (ي، و) التي تسبق الصوت الأخير للألفاظ في (بعيد، فروج، بهيج، محيص)، دورًا كبيرًا في إظهار المعاني والدلالات.

وأخيرا لعله يلاحظ أن بداية سورة (ق) فيها قسم بالقرآن العظيم، وهو قسم مفزع من حيث البداية الشديدة، لما في صوت القاف من انفجار تقخيم له، ولعل سائلا يسأل لم هذه البداية الشديدة القوية والمفخمة رغم أن السورة فيها ألفاظ هادئة (التي في وصف السماوات والأرض ، ورزق الله للعباد) فالجواب أن أغلب موضوعات السورة كانت في معانٍ قوية شديدة على النفس البشرية، ولذلك فإن هذه الألفاظ الهادئة قليلة وسريعة ولا تشكل إلا نسبة قليلة من مجموع السورة، كأنه قد قيلت للراحة من مشقة الانفعال في السورة، فإذا هي ألفاظ للتهديئة والراحة لشوط جديد وفزع أكبر.

هذا وإن للتنغيم في سورة (ق) صدًى واسعٌ، لما تشتمل عليه السورة من أصوات (ق، د، ب، ج، ظ، ر، ص، ق)، وهي بلا شك أصوات ذات صفات قوية في نغمها وفي صداها في الفم والاذن، ولعلم التجويد دور بارز في إبراز ذلك النغم.^{١٧٩}

الفواصل القرآنية وأثرها في البنية الإيقاعية للتعبير القرآني ودورها في إتمام المعنى واتساعه في سورة (ق).

يقول سعيد حوى إن سورة (ق) "سورة شديدة الوقع بحقائقها، شديدة الإيقاع بينائها التعبيري، وبجرس فواصلها. تأخذ على النفس أقطارها، وتلاحقها في خطراتها وحركاتها، وتتعبقها في سرها وجهرها، وفي باطنها وظاهرها. تتعقبها برقابة الله، التي لا تدعها لحظة واحدة من المولد، إلى الممات، إلى البعث، إلى الحشر، إلى

^{١٧٩} جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف ، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م،

الحساب.^{١٨٠} حيث احتوت سورة (ق) على خمس وأربعين فاصلة، لها دور في البنية الإيقاعية واتساع المعنى، والدلالة القرآنية:

- جاءت فاصلة الدال من أكثر فواصل سورة (ق)، وهي سبع وعشرون فاصلة من جملة خمس وأربعين فاصلة، وهو عدد كبير أكثر بكثير من نصف هذه الفواصل، أي حوالي ثلثا فواصل السورة .

- ونلاحظ هنا أنها متفرقة العدد وليست متتابعة، بل وكأنها تأتي لظروف صوتية أو دلالية ثم تعود إلى الفاصلة الأم.

- فاصلة صوت الجيم تأتي في المرتبة الثالثة من حيث عدد الفواصل المنتهية بها سورة (ق) ، وقد جاءت في خمسة .

ويلاحظ في تسلسل النهايات القرآنية السابقة أن السورة تكاد تجمع على هذه الفواصل ذات الطابع المجهور المقلقل في أصوات (د، ب، ج)، وذات الطابع الانفجاري في صوتي (د، ب)، وذات الطابع المفخم في صوت (ج). وهذا ناسب موضوع السورة الذي يناقش قضية القرآن والتصديق به والتذكير به، وقضايا عدة من إنكار الكافرين للبعث والنشور والحساب ، واستبعادهم لأن يبعثوا من جديد. فالفاصلة أعطت المعنى قوة وفخامة نتج عن صدى أصواتها. واجتمعت هذه الأصوات الثلاثة (د، ب، ج) في إحداث زلزلة لإيمانية قوية تنبه وتفزع وتبصر.

■ وفي المرتبة الرابعة فاصلة الطاء، جاءت في موضعين فقط الموضع الأول وهو الآية الرابعة والموضع الثاني الآية الثانية والثلاثين: يلاحظ في هذين الموضعين أنهما يبعدان عن بعضهما كأنه لا ارتباط بينهما، فأحدهما في أول السورة، والثاني في أواخرها؛ ويدل ذلك أنهما لربما أتيا لتنويع النغمة ولتنبيه السامع؛ لأن السورة عادت بعد ذلك إلى الفاصلة الطبيعية.

وفي المرتبة نفسها فاصلة الراء، جاءت في موضعين، وهما في آخر السورة، ويلاحظ أنهما متعاقبان في آخر السورة، وقد ناسب وجودهما هنا أنهما تحدثا في موضوع تشقق الأرض يوم القيام، وجمع الناس وحشرهم للمحاسبة، وهذا لاعم صفة التكرار في صوت الراء.

■ صوت الطاء جاء في فاصلة واحدة، في الآية رقم ١٣، ولعل مجيء صوت (ص) وصوت (ط) فاصلة لتنويع النغمة، ولفت سماع المتلقي؛ لأن السورة عادت بعد ذلك إلى الفاصلة الطبيعية.

ولربما جاءت هذه الفواصل تقريرا للأذن وتنبيها للغافل، وتذكيرا للسامع بما فيها من انفجار وجهر وتفخيم وقلقلة.

^{١٨٠} الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج٩، ٥٤٧٢.

وأخيرا نرى أن الفواصل هي التي تحدد نوع الإيقاع ونوع النغم، وبالتالي الخط العام والمعنى الإجمالي، و نستطيع أن نميز بين السور المكيّة والمدنية من غير الرجوع إلى روايات العلماء والمفسرين يقول الشيخ البوطي: " وحسبك أن تقرأ سورة مثل سورة ق وتقف على ما فيها من الحجاج والنقاش مع المشركين وما فيها من الأدلة على وجود الله، وما ينبعث من جرسها وفواصلها وإيقاع آياتها من معاني الشدة والتهديد والجبروت، لتعلم أنها سورة مكية"^{١٨١}

إذن الفواصل هي المعنى ولكن بصورة إيقاعية هي تلك النغمة المعبرة، وهي الحركة الهادفة والهادرة في سيل الحجج والمعاني، وحركة الأحداث وتفاعلاتها، ويكفي أن تسمع فاصلة لتحدد الموضوع من غير أن تسمع ما وراءها، يكفي أن تسمع الفاصلة لتعرف أهو قرآن حجاج أم قرآن أحكام، مدني أم مكي، طوال أم قصار، بل أهو يدعو أم يدفع، يبشر أم ينفر، يزرع أو يحجب.

الخاتمة

عرضت هذه الدراسة للبنية الصوتية ودلالاتها في سورتي (ص) و(ق)، فتناولت التحليل الصوتي الدلالي لسورتي (ص) و(ق)، من خلال تناسب صفات صوتي (ص) و(ق) لمضمون السورة العام، وتناسب صفات اللفظة للمعنى ، وتناسب طريقة نطق اللفظة للمعنى ، والتنغيم وتأثيره على المعنى ، والفواصل القرآنية ومدى تأثيرها على اللفظ والمعنى، وقد انتهت الدراسة إلى عدد من النتائج:

١- ملاءمة صفات صوت (ص) بتفخيمه، وهمسه، واحتكاكه، وصفيره، بما اشتملت عليه مضمون السورة العام، والتي اتضحت في تلك الخصومات الشديدة والجدال بين الخصوم، وتناسبت صفات صوت (ص) مع ذكر الصبر في السورة، فمعلوم أن الإنسان حال مايلم به أمر ما ، أو جلل يحتاج إلى التحلي بالصبر فيكون حاله بين استسلام وضعف، أو تجلد وتقوٍ بالصبر، فناسب ذلك صفات الهمس والاحتكاك والتفخيم لصوت الصاد ، فصفة الهمس تشعرنا بالاستسلام والضعف، وصفة التفخيم تشعرنا بالصبر والتجلد والقوة؛ للتغلب على الخصومات.

٢- جاءت صفات صوت (ق) بتفخيمه، وهمسه، وانفجاره، وقلقلته ملائمة لما اشتملت عليه مضمون السورة العام، والتي اتضحت في موضوعات السورة من ذكر القرآن ، والخلق، والقيامة، وهلاك القرون الماضية، وذكر الرقيب، وتكرير القول، وذكر السائق والشهيد، والقرين. وتناسبت صفات صوت (ق) مع ذلك المعنى الذي أظهرته السورة ، المتمحور حول (القدرة) الإلهية وعظمتها وقوتها.

٣- ناسبت ألفاظ سورتي(ص) و(ق) صورتها الذهنية ودلالاتها السمعية، فالقرآن الكريم

^{١٨١} من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٨٧.

يضع اللفظ المناسب في مكانه وموضعه المناسب، وهذا الاختيار يأخذ في عين اعتباره دلالة أصوات اللفظة.

٤- أثبتت الدراسة عمق ودقة طريقة نطق اللفظة في بيان المعنى، وهذا ما ظهر في لفظة

(شقاق، عُجاب، الصيحة، غواص) في سورة (ص)، ولفظة (سكرة، فكشفنا، توسوس) في سورة (ق).

٥- أوضحت الدراسة أثر التنغيم في إظهار المعنى في السورتين.

٦- أثبتت الدراسة أن تنوع الفاصلة في السورتين، يزيد المعنى جمالا واتساعا؛ فظهرت فاصلة (الباء) في سورة (ص) كأكثر فاصلة ورودا، ثم تنوعت الفواصل بعد ذلك، وجاءت فاصلة (الدال) في سورة (ق) أكثر ورودا، ثم تنوعت الفواصل بعد ذلك؛ لتعطي كل منها معنى في السورة من خلال صفاتها الفيزيائية.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أئمة النحاة في التاريخ، محمد محمود غالي، دار الشروق، جدة، ط١، ١٣٩٦ م.
- الأعلام، الزركلي دمشقي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.
- الأبجدية ودلالاتها، النظرية والتطبيق، عاصم المصري، دار كنعان، ط١، ٢٠١٣ م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م
- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط٦، ١٤٢٤ هـ
- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى محمود بن حمزة بن نصر تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار النشر، دار الفضيلة .
- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ١٩٧٣ م.
- أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الثامنة، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.
- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، العقاد عباس محمود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، دار المعارف،
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن

حنان محمد فلاح العمراني

- قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥ هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ .
 - البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية، دار الجاحظ، بغداد ١٩٨٣ م
 - بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، جمعه المحقق محمد الندوي، ١٩٤٩ م، ج ٣
 - البرهان في علوم القرآن، الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (٥٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، ١٣٧٦/١٩٥٧ م
 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للثئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١/٤٣٩)
 - بغية المستفيد في علم التجويد، محمّد بن بدر الدين بن عبد الحق ابن بلّبان الحنبلي، اعتنى به: رمزي سعد الدين دمشقية، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
 - البيان في عدّ أي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني تحقيق: غانم قدوري الحمد مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط ١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
 - البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام هارون، كتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
 - تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ.
 - التحديد في الإتقان والتجويد، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار، بغداد ساعدت جامعة بغداد على طبعه، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٨ م.
 - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ م)، دار سحنون، تونس، د.ط، ١٩٩٧ م.
 - التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، تعريب رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
 - تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلس، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
 - تفسير الطبري، من كتابه جامع البيان في تفسير أي القرآن، الطبري، تحقيق عبد الله

- التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- التفسير القيم، ابن القيم، تحقيق أحمد الفقي، دار الرائد العربي، لبنان، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
 - تهذيب اللغة، لأبي منصور الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ٢٠٠١م.
 - تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، أسعد أحمد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
 - جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، الثانية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م.
 - جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م.
 - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، (أصل الكتاب رسالة دكتوراة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة حلب ٢٠٠٥ م) عبد البديع النيرباني، دار الوثائق، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
 - الحدود الأنيفة، لزكريا الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ.
 - الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط٢، ١٩٥٢م.
 - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.
 - خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.
 - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، بغداد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
 - دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
 - دراسات في اللغة، عبد الكريم مجاهد، دار الشؤون الثقافية، مصر، د.ط، ١٩٨٦م.
 - درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى أيدين - جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
 - دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، تعريب صالح الفرماضي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٦٦م.

حنان محمد فلاح العمراني

- دلالة الألفاظ، الدكتور. إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الخامسة ١٩٨٤م
- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر الفاخري، الناشر المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، د.ط، د.ت.
- الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد: دار الضياء، عمان، الأردن،
- دليل الحيران على مورد الظمان، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي دار الحديث، القاهرة،
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٧م.
- رسالة أسباب حدوث الحروف للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان، يحيى مير علم. مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، د.ت.
- الروضة الندية شرح متن الجزرية، محمود بن محمد عبد المنعم بن عبد السلام بن محمد العبد، صححه وعلق عليه: السادات السيد منصور أحمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م.
- الساق على الساق فيما هو الفاريق، أحمد فارس الشدياق، المكتبة التجارية، القاهرة، ط١، ١٨٥٥م.
- سر صناعة الاعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي عامر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م
- شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأسترابادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٨ هـ.
- الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين علي الصّغير، دار المؤرّخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.
- الصوتيات العربية، منصور محمد الغامدي، مكتبة التوبة الرياض ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الصوتيات والفونولوجيا، مصطفى حركات، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- علم الصوتيات، عبد العزيز علام، عبد الله ربيع محمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.

- علم اللغة العام (الأصوات)، كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السمران، دار الفكر العربي، ط ٢ ، القاهرة، ١٩٩٧م
- العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسّة المصري، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م .
- العين ، الفراهيدي الخليل بن أحمد، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٠م.
- فتح القدير، الشوكاني محمد بن علي محمد عبد الله، دار ابن كثير، دمشق، ط.١، ١٤١٤هـ.
- الفراسة، الرازي فخر الدين، تحقيق : يوسف مراد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٢م .
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.
- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، جورج زيدان، تحقيق: مراد كامل، دار الهلال، الرياض ، ١٩٦٩م .
- في ظلال القرآن سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، د.ط، ١٩٨١م.
- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، لبنان، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ
- اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ط١، ١٩٩٢م.
- محاسن التأويل، الحلاق القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ
- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م .
- مخارج الحروف وصفاتها، ابن الطحان أبو الاصبع عبد العزيز بن علي الإشبيلي، تحقيق: محمد يعقوب تركستاني، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- مختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي بالولاء، الأندلسي، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.
- المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣،

- ١٩١٦م.
- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم القارئ ، ابن الطحان، أبو الاصبع عبد العزيز بن علي الإشبيلي ، تحقيق حاتم الضامن ، مكتبة الصحابة، الامارات، ط١، ٢٠٠٧.
 - المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.
 - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
 - المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت، ١٤١٢هـ.
 - المقتضب، أبو العباس المبرد، تحقيق عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
 - من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو بكر البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- الدوريات**
- جهود العرب في الدراسات الصوتية، كمال بشر، مجلة الثقافة العربية، ٤٤، سنة ٢، ١٩٧٥م.
 - الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، بو زيد ساسي هادف، مجلة حوليات التراث، ٩٤، ٢٠٠٩م.
 - القيم الدلالية لأصوات الحروف العربية عود على بدء، منال نجار، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية) مجلد٤(٩)، ٢٠١٠م.